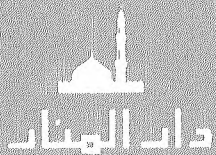
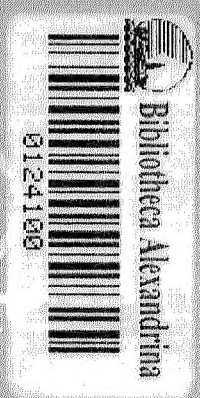
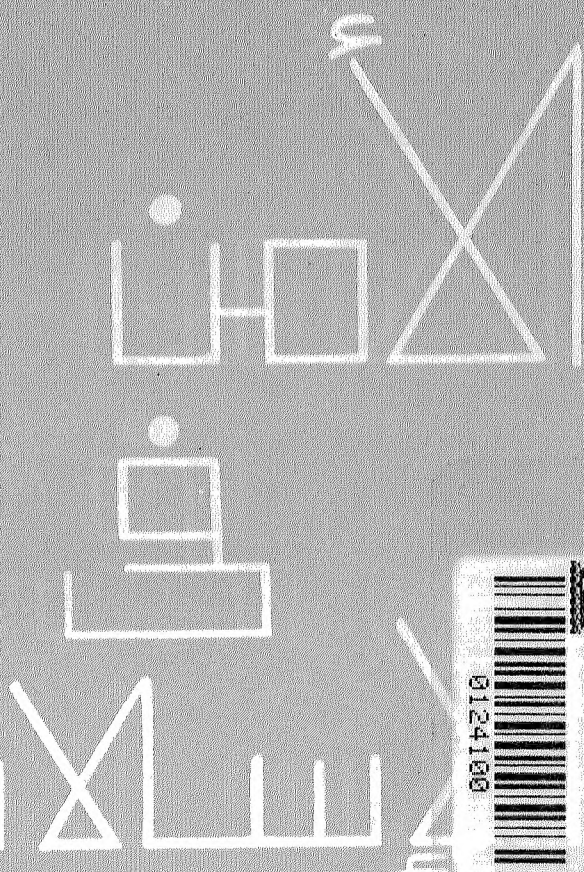
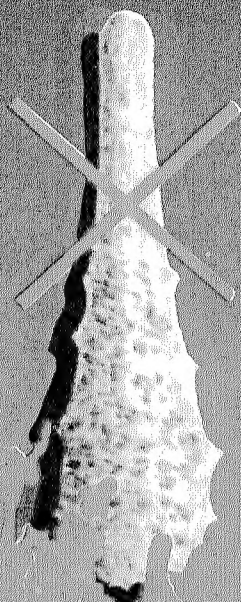


د. احمد عمر هاشم





دار المنار للطبع والنشر والتوزيع
٢ ش الباب البحرى بالازبكية
ت ٩١٠٢٢٠ ص٠ ب ٦١ هليوبولس

الأمن في الإسلام

تأليف

الدكتور / أحمد محمد هاشم

دار المنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين المبعوث
رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فإن للإسلام منهجه في إقرار الأمن ، وقد قام هذا المنهج على الدعوة
بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، وأرسى الإسلام للأمن
قاعدتين أساسيتين هما : الإيمان ، والعمل الصالح :

قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليسبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

ومن أجل إقرار الأمن دعا الإسلام إلى تعميق العقيدة الصحيحة وعد
الظلم قال تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن
وهم مهتدون » .

وكما دعا الإسلام إلى الأمن الداخلي ، والأمن الخارجي ، وإلى أمن
أحقوق الإنسان ، من أجل أن يحيا الفرد وتحيا الجماعة والكل آمن على
نفسه وعلى ماله وعلى عرضه « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الدكتور / أحمد عمر هاشم

مكانة مصر في الإسلام

لمصر مكانتها عند الله ورسله ، فهي كنانة الله في أرضه ، وقد بوأ الله تعالى منزلة هامة ، وقبضها لتضطلع برسالة شاقة في حماية الدين والذود عن حياض الامة ، وجعلها وأهلها في رباط إلى يوم القيامة .

ولا هميتها حظيت بذكر القرآن الكريم لها : « ادخلوا مصر إن شاء الله منين ، يوسف (٩٩) .

وقال سبحانه : « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة » يونس (٨٧) .

وفي مصر مشاهد تاريخية ، تفيض ذكريات غالية ، وقبما سامية . وفضائل عظيمة ، في جبلها المقدس ونيلها المبارك ، والطور الذي كلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام عليه ، وبها الوادي المقدس ، وبها فلق الله البحر لموسى ، وبها ولد موسى وعيسى وهارون ولقمان ، وكان بمصر الخليل إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف عليهم صلوات الله وسلامه .

وحب مصر وأهلها فضلا ومنزلة وصية رسول الله ﷺ التي جاءت بها السنة الصحيحة ، حيث وصى عليه الصلاة والسلام بمصر وأهلها لما لهم من الزمة والرحم :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه قال : حدثني أبو الطاهر أخبر ابن وهب أخبرني حرملة - ح - وحدثني هارون بن سعيد الأيلي حدثنا ابن وهب حدثني حرملة - وهو ابن عمران النخعي عن عبد الرحمن بن شماس المهدى قال : سمعت أبا ذر يقول : قال رسول الله ﷺ :

« إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا أهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما » .

وفي رواية أخرى عند مسلم : « إنكم ستفتحون مصر » . والمراد بالقيراط المذكور في الحديث جزءاً من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ،

وكان أهل مصر يكثر من استعماله والتكلم به . وأما الذمة ، فهي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام وأما الرحم فذلكون هاجر أم إسماعيل منهم ، وأما الصهر : فلكون مارية أم إبراهيم منهم . وفي الرواية الثانية : « فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما ، أو قال : ذمة وصهرا » .

ولأن حكمة الله تعالى شامت لمصر أن تنهض بأشرف رسالة في الوجود حفاظا على دينه ونشر له وتبليغا ، وتعلما ، وحماية للأمة الإسلامية وتراثها وقيامها بالجهاد في سبيل ذلك كله من أجل هذا ، حث الإسلام على تكوين جند عظيم لمصر ، وهو خير أجناد أهل الأرض .

وإنما كان جند مصر خير أجناد أهل الأرض لأنه سيظل في رباط وحراسة للحدود وللوطن الإسلامي إلى يوم القيامة ، هكذا روى عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كشيء فذلك الجند خير أجناد الأرض ، فقال أبو بكر : ولم يارسول الله ؟ قال :

« لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة » . [أخرجه ابن عبد الحكم]

فمصر وجندها وأهلها في رباط ودفاع عن الحق ، ونصرة للخير وتبليغ للإسلام ، ونشر لقيمه .

وفي كل أمة وبيعة من يشذ عن المنهج أو يند عن الجماعة لسبب أو إشاعة بتأويل أو بغير تأويل وحكم القلة لا يسيء إلى الجماعة ، فكل جند مصر بخير وإيمان ، وقوة وإذعان ؛ ورضوخ للحق ، وإخلاص للنية ، ليقينهم بسمو أهداف أمتهم ، وإيمانهم بالله ربا ، وبالإسلام ديننا ، وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا . واقد وضع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ماون الناس ، والجند بصفة خاصة في حديثه الصحيح ، فلا ينقص من عظمة مصر وجندها بعض الذين شذوا وانحرفوا عن الجادة .

عقوبة الماديين ومشوبة المرابطين

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخيصة ، إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كافي في الساقة وإن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع ، » [رواه البخارى ومسلم وابن ماجه]

وفى هذا الحديث تحذير من التكالب على الدنيا والمال ، ودعوة إلى علو الهمة وسمو الغاية ، وذم لطلاب المال والدنيا فحسب ، الذين صاروا عبيداً للمال ، وكل همهم عرض الحياة ، وليس الشرف والآباء ، ولا الخلق والدين فمؤلاء تعسوا وشقوا ، وأما الذين يرابطون في سبيل الله ويأخذون بعنان جيادهم مطيعين الله ورسوله وأولى الأمر وإن لم يجيبوا لهم مطلباً ولم تقبل لهم شفاعة فطوبى لمؤلاء المخلصين . وسحقاً للطاغين .

إن الحديث يدعو على أولئك الذين عبدوا المال والشهرة (تعس) أى شقى عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخيصة أى القطيفة (تعس وانتكس) أى عاوده المرض ، أو إذا سقط اشتغل بسقطته حتى يسقط مرة أخرى (وإذا شيك فلا انتقش) أى إذا أصابته الشوك لا يجد من يخرجها منه بالمنقاش ، وفى الدعاء عليه بذلك إشارة إلى عكس مقصودة لأن من عثر فدخلت في رجله الشوك فلم يجد من يخرجها يصير عاجزاً عن الحركة والسعى في تحصيل الدنيا .

ثم يشير الحديث بعد ذلك إلى الخوض على العمل بما يحصل به خير الدنيا والآخرة (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه . . .) الخ الحديث ، إنه الجندى المجهول المرباط في سبيل الله زانراً ، كان في الحراسة كان في الحراسة (أى إن كان المهم أن يكون في الحراسة كان فيها ، أو هو بذلك فى ثواب عظيم .

(وإن كان في الساقاة كان في الساقاة) إنه يترك حب الرياسة والشهرة ومتواضع مخلص لله فهو جندي مجهول يعمل دون أن يعلن عن عمله ويجعله كثير من الناس ، ولكن يعلمه رب الناس ويجزيه خير الجزاء .

والمراد بقول الرسول ﷺ لهذا النوع الثاني من الجنود (طوبى لعبد . . . الخ) الدعاء له بالجنة لأن طوبى أشهر شجرها وأطيبه فدعا له أن ينالها ، لأن أخذ بعنان فرسه ، لا يعلن عن نفسه ، ولا يتكالب على الدنيا لاو يعنيه إن كان في الساقاة أو إن كان في الحراسة .

والحراسة : مقدمة الجيش التي تحرسه من هجوم العدو .

والساقاة : مؤخره الجيش ، إنه يؤدي واجبه في أى موقع كان .

وللحراسة في سبيل الله فضل عظيم ، ومكان كريم ، ففي حديث عثمان مرفوعا .

« حرس ليلة في سبيل الله خير من ألف يقام ليلاها ويصام نهارها » أخرجه ابن ماجه والحاكم . وإنما كان للحراسة كل هذا الجزاء الوافر لما يترتب عليها من الحفاظ على حمى الوطن واستتباب الأمن وتيسير العمل والعبادة .

وفي حديث سهل بن معاذ عن أبيه مرفوعا :

« من حرس وراء المسلمين متطوعا لم ير النار بعينه إلا تحله القسم » أخرجه أحمد .

وحديث أبي ریحانة مرفوعا : « حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله » أخرجه النسائي ونحوه للترمذي عن ابن عباس وللطبراني من حديث معاوية بن حيدة ..

وقد أمر الله تعالى بالرباط في سبيله حين قال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » آل عمران (٢٠٠) . بل إن حارس الوطن والمرباط على حدوده تعتبر الليلة

الواحدة له خيراً من ليلة القدر في الجزاء ، ولقول الرسول ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمر : « ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر حارس حرس في أرض خوف لعله ألا يرجع إلى أهله » رواه الحاكم ، ويستنبط من الحديث :

* — فضل الحراسة في سبيل الله ، وأهمية القائمين بحراسة الوطن وأن لهم عند الله جزاء عظيماً .

* — والتحذير من طلاب الدنيا وعبيد المال .

* — ووجوب طاعة الله ورسوله وأولى الأمر والتحذير من المخالفة سواء كان الجندي في المقدمة أو في المأخرة

* عقوبة الغادرين :

وإذا كان الله تعالى قد أعد هذا الأجر الكريم للمرابطين في سبيل الله الذين كانوا أوفياء لعقيدهم ، أمناء على أوطانهم ، فإنه سبحانه قد جعل في الآخرة عقوبة للغادرين ، ولواء يشتهرون به ويفتضحون على رؤوس الخلائق جزاء صبيحتهم وغدرهم وخيانتهم وعدم وفائهم وفي الحديث الآتي توضيح ذلك :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فقيل : هذه غدره فلان بن فلان » . [رواه مسلم]

إن للغادرين عقوبة أليمة يوم القيامة حيث تكون لهم علامة تميزهم ويشتهرون بها بين الناس ، وكانت العرب تنصب الآلوية في الأسواق الحفلة لغدره الغادر لتشهده بذلك . والغادر : هو الذي بواعده على أمر ولا يفي به . وقد جاءت روايات لهذا الحديث تزيده وضوحاً وتفصيلاً ، منها ما جاء بزيادة : (يعرف به) أي بلوائه وشهرته الناس ، وفي رواية أخرى : (لكل غادر لواء عند إسمه يوم القيامة) وفي رواية آخر : (لكل غادر

لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره) ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة رواده مسلم . واللواء هو الراية العظيمة التي يمسكها صاحب الجبش ، ويتبعه الناس ، والمراد أنها علامة يعرف بها الغادر يوم القيامة ، ويفتضح بها ، والغدر محرم أشد التحريم لاسيما من صاحب الولاية العامة ، أو من الجند الحارسين للوطن ، لأن غدر مثل هؤلاء يتعدى ضررهم إلى مساحة عريضة من الناس ، وقد ذكر العلماء لهذا الحديث احتمالين :

أحدهما : وهو نهى الإمام أن يغدر أو من يقوم مقامه ممن يتولى رئاسة عمل من الأعمال . فلا يغدر في عهوده مع قومه أو مع غيرهم ، ولا يغدر في الأمانة التي يقوم عليها ، ويحافظ على أهله ، فمن خانهم فقد غدر بعده .
الثاني : أن يكون المراد نهى الرعية عن الغدر بالإمام فلا يشقوا عليه عصا الطاعة ، ولا يتعرضوا لمساخف حصول فتنة بسببه وإذا كان الإمام النوى رجح الاحتمال الأول ، فإن الأمرين معاً لها من الأهمية ما يجدر بكل مسلم استرعاه الله تعالى رعيته أو قام على أمر من الأمور ، أو وكل إليه عمل من الأعمال أن يكون حارساً أميناً على هذا العمل ، وألا يخون ولا يغدر ولا يفرط في الحقوق ولا يمكن المستهترين والمشاغبين والعابثين ، وأن يسهر هو ومن معه على حماية الذمار ، وصيانة الحقوق والرفاه بالعبود .
وقد حذر الإسلام من الغدر والغلول والتمثيل وقتل الصبيان والولدان

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أقر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً . ، رواه مسلم .

وعن أبي التياح قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ :
« يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا » رواه مسلم ومعنى (وسكنوا)
أى اجعلوهم في سكنينة واستقرار آمن ساكن غير قلقين .

وإذا كانت هذه هي توجيهات الإسلام ووصاياه حتى في حالة الحرب لا السلم وحتى مع غير المسلمين ، فما بالناس فيها في حالة السلم ؟ لاشك أنها تكون أكثر أهمية وطلباً .

وعن ابن عباس رضى الله عنها قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال : اخرجوا باسم الله ، تقتلون في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع ، رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط إلا أنه قال فيه : « ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً » .

وحذر الإسلام من نقض العهد وإخفاء الذمة ، والخيانة حتى لا يستشري الفساد ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لكل لواء يوم القيامة ، ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، من أخفر » مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل . رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى .

ما يستنبط من الحديث :

- * تحذير الإسلام من الغدر أو نقض العهد أو من الخيانه .
- * للغادرين الذين لا يوفون بالعهد ولا يقومون بحق الأمانات عقوبتهم في الآخرة والتشهير بهم يوم الحساب .
- * حرص الإسلام على الأمن والاستقرار والوفاء بالعهد وأداء الأمانات وصيانة الحرمات بين المسلمين وفي سائر معاملاتهم وعلاقاتهم .

النتيجه من الاخبار ومقاومة الشائعات :

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أنه سمع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضى الله عنه يقول : قدمت على

(١) أى نقض عهده وذمامه .

رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به ، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها ، وقلت : يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل إلى يا رسول الله رسولاً إبان^(١) كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة ، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأت به وظن الحارث أنه قد حدث شيء فيه سخطه من الله تعالى ورسوله ، فدعا^(٢) بسروات قومه فقال لهم : إن رسول الله ﷺ كان وقت لي وقتاً يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسول الله ﷺ إلا من سخطه فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف ، فرجع حتى أتى رسول الله ، فقال : يا رسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي ، فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه ، وأقبل الحارث بأصحابه ، حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيم الحارث فقالوا هذا الحارث ، فلما غشيم قال لهم : إلى من بعثتم ؟ قالوا إليك ، قال : ولم ؟ قالوا : إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله ، قال رضي الله عنه : لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بته ولا أتاني ، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال : « منعت الزكاة وأردت قتل رسولي » ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطه من الله تعالى ورسوله قال : فنزلت الحجرات .

(١) إبان كذا : وقت كذا . (٢) سروات قومه : أشرافهم .

(يا أيها الذين آمنوا إن جامكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجمالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) (١) .

وهكذا أمر الإسلام بالثبوت من الأخبار ، قال قتادة : فكان رسول الله ﷺ يقول : (التثبت من الله والعجلة من الشيطان) .

ومن أجل هذا نادى الله تعالى عباده المؤمنين وأمرهم أن يبتعدوا عن سوء الظن بالناس ، لأن بعض الظن إثم قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) (٢) .

وظن السوء يستحق مرتكبه العقوبة عليه ، قال زيد رضى الله عنه لا تظن بكامة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً . وقال عليه الصلاة والسلام : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته . رواه أبو يعلى . كما نهى الله تعالى عن البحث عن عورات المسلمين وعن الغيبة فلا يذكر بعضهم بعضاً بالسوء في غيبته ، ثم يمثل بشاعة جرم الغيبة وصور المغتاب من يأكل لحم أخيه المسلم وهو ميت ، فكما يسكره مثل هذا فليسكره المسلمون الغيبة لأن عقوبتها أشد ، ثم يأمرهم الله تعالى بالتقوى والخوف منه سبحانه وتعالى بفعل ما أمر واجتناب ما نهى فهو سبحانه يقبل التوبة وكثير الغفران وعظيم الرحمة وقد نهى الرسول ﷺ عن

التجسس في قوله ﷺ « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تجسسوا » (١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لأصحابه : أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم » ثم قرأ رسول الله ﷺ : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » (٢).

النهى عن التحدث بكل ما يسمع :

عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ :
« كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » رواه مسلم .

في الحديث توجيه نبوي حكيمة يحذر من الكذب ، ومن قالة السوء ويزجر الناس عن التحدث بكل ما يسمع الإنسان من الغير ، لأن الذي يسمعه الإنسان من الناس فهو في العادة يسمع الصدق والكذب ، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن .

والكذب : هو التحدث أو الإخبار بخلاف الحقيقة ، ولا يشترط في كونه كذباً تعمد صاحبه ، ولكن التعمد شرط في كونه إثماً وذنباً .

وإذا كان الإخبار بكل ما يسمع الإنسان — وفيه الحق والباطل والصدق والكذب .

إذا كان ذلك يجعل صاحبه في عداد الكذابين وينهى عنه فما بالناس بالكذب المنعم ونقل قالة السوء ، والتشجيع على الناس ، والهجر من القول عن سفيان بن حسين قال : سألت إياس بن معاوية فقال لي أراك قد كلفت

(١) رواه ابن أبي حاتم .

(٢) الأحزاب (٥٨) .

بعلم القرآن فأقرأ على سورة وفسر حتى أنظر فيما علمت قال : ففعلت ، فقال لى : احفظ على ما أقول لك : إياك والشناعة فى الحديث ، فإنه قلما حملها أحد إلا ذل فى نفسه وكذب فى حديثه . رواه مسلم .

ومعنى الشناعة على الرجل ذكره بالقبيح ، فهو يحذره أن يحدث بالأحداث المنكرة التى يشنع على صاحبها وينسكرك ، ويقبح حال صاحبها فيكذب أو يستراب فى روايته فتسقط منزلته ويذل فى نفسه .

وقد حذر الإسلام من الكذب والإشاعات وحذر الذين يرددونها ووجههم إلى الرجوع إلى الله ورسوله أو إلى الكتاب والسنة وإلى أولى الأمر حتى يقضى على الحقائق قال تعالى : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » . سورة النساء (٨٣) .

وقد أمر القرآن الكريم بالتثبت فى تلقى الأنباء فقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » الحجرات (٦) .

ويلاحظ أن الله تعالى خص الفاسق ، لأنه هو الذى يظن الكذب فى خبره والكذب من سمات الفاسقين لا المؤمنين ، حتى لا يشاع الشك بين المؤمنين فى أخبارهم .

ونلاحظ أن سلفنا كانوا إذا أحسوا بكلمة تتردد ما كانوا يتركونها حتى تزداد بل كانوا يقاومون الشائعات ويخمدونها فى مهدها فى غزوة أحد ، وعندما نادى أبو سفيان : أفى القوم محمد ، أفى القوم أبو بكر ، أفى القوم عمر ولم يجبه أحد ظن أنهم قتلوا ، وراح يطلق الشائعة بأنهم قتلوا ، ولو أخذها المسلمون وسكتوا عليها لكان لها خطرهما وفعاليتها فى معنوياتهم

ولكن الفاروق عمر رضى الله تعالى عنه تصدى لإخماد تلك الشائعة قائلاً :
إن الذى عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك مايسوؤك .

ولقد نادى الله تعالى المؤمنين وأمرهم أن يأخذوا حذرهم فقال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم » (١) .

ونهى الإسلام عن التنازع وعن أسباب التنازع وعن نقل قالة السوء ،
والظن السيئ ، والتحدث بكل ما يسمع الإنسان كل ذلك مخافة أن تضعف
الروح المعنوية ويكون لتلك الشائعات أثرها السيئ على نفوس الناس ، ومن
تحذير القرآن من التنازع قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم
تفلاحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم
واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا وورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » (٢) .
وعلى المؤمنين أن يأخذوا حذرهم كما قال تعالى (... خذوا حذرکم)
و ألا يعطوا الفرصة للمنافقين ومروجى الإشاعات وأن يصدوهم صيانة
للمجتمع وحفاظاً على أمنه .

(١) النساء (٧١) .

(٢) الأنفال (٤٥ — ٤٧) .

استقبات الأمن ثمرة الايمان والعمل الصالح

لقد وعد الله سبحانه وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام أن يجعل أمته خلفاء في الأرض ، وأئمة الناس ، وجعل صلاح البلاد بهم ، كما وعد بأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، وقد حقق الله سبحانه وتعالى ذلك كما قال جل شأنه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » . سورة النور (٥٥) .

ولقد تحقق هذا الوعد من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام ، فلم ينتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى جوار ربه حتى فتح الله عليه مكة وخيبر وسائر جزيرة العرب .

ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه بمكة ، مكشوا نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله وحده ، وإلى عبادته وحده لا شريك له سرا ، وهم خائفون لا يؤمنون بالقتال ، حتى أمرهم الله تعالى بالهجرة إلى المدينة وأمرهم بالقتال ، وكانوا خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح ، فغصبروا على ذلك ما شاء الله تعالى لهم أن يصبروا ، فقال رجل من الصحابة يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ، ونضع عنا السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لن تصبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في المأذي العظيم محتبياً ليست فيه حديدة ، وأنزل الله هذه الآية الكريمة ، فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح .

ثم أن الله سبحانه وتعالى لما قبض رسوله عليه الصلاة والسلام كانوا كذلك آمنين في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ولقد وعد رسول الله صلوات الله عليه المسلمين نعمة الأمان حين قال لعدي بن حاتم ، حين وفد عليه : « أتعرف الحيرة ؟ » قال : لم أعرفها ولكن سمعت بها ، قال : فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز ، قلت كسرى بن هرمز قال : نعم ؟ وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد ، قال عدي بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد .

ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة ، لأن رسول الله ﷺ قد قالها .
وهكذا حدث الأمان كما وعد الله تعالى ، كما وعد رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وجاء ثمرة مترتبة على الإيمان بالله ، وتوثيق الصلة به ، وعمل الصالحات .

والأمان كما هو نعمة في الدنيا دعا بها الأنبياء والمرسلون ، كما في دعوة إبراهيم عليه السلام : « رب اجعل هذا البلد آمناً ، وكما في الآية السابقة : « وعد الله الذين آمنوا .. »

فهو أيضاً من نعم الله سبحانه وتعالى في الآخرة ينعم بها عباده المؤمنون المخلصون كما قال تعالى : « إن المتقين في مقام أمين ، وكما قال جل شأنه : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .
الأنعام (٨٢) .

ولما نزلت هذه الآية السكرية ، قال رسول الله ﷺ : « قيل لي أنت منهم » . وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من أعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر » وسكت فقالوا : يا رسول الله ماله ؟ قال : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

وكما أن الأمن ثمرة الإيمان والعمل الصالح فهو أيضاً سمة المؤمن الصادق في إيمانه فإذا صدق إيمان الفرد وإذا صدق أيضاً إيمان الجماعة عاشوا حياتهم آمنين لا يخافون ولا يفرعون ولا يخيفون أحداً ، ولا يروعون الناس ، بل إن الناس يلجئون للمؤمنين الصادقين ويأمنونهم على دماءهم وأموالهم .

ولقد وضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه سمة من سمات المؤمن وهي أن يأمنه الناس فقال صلوات الله وسلامه عليه : « والمؤمن من أئمنه الناس على دماءهم وأموالهم » . رواه الترمذى .

وتركيزاً على « الأمن » كعلامة مميزة للمجتمع المؤمن وسمة ملازمة للمؤمنين نرى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ينظر إلى من يرجى منه الخير ولا يخاف أحد منه ويؤمن الشر من جانبه بأن مثل هذا الإنسان هو خير الناس ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « خيركم من يرجى شيره ويؤمن شره » . رواه الترمذى .

وقد أنكر الإسلام على من يستخدم السلاح في غير موضعه ، وبغير وجه حق ، يروى عن الحسن : أن رجلاً شبر سيفه على رجل ، فجعل يفرقه ، فبلغ ذلك أبا موسى الأشعري فقال : ما زالت الملائكة تلعنه حتى غمده أو أغمده . وحرم الإسلام قتال الإنسان لأخيه الإنسان وترويعه بأى حال من الأحوال ، وتوعد الإسلام المسلمين المتقاتلين بالنار ، لخروجهما على دعوة الإسلام للأمن والأمان ، والاستقرار والاطمئنان .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه » ، فالقاتل والمقتول في النار ، قيل : يا رسول الله هذا في القتال فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » .

ويوضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن المؤمن هو الذي يأمنه الناس ولا يخافونه ولا يخونونه بل يأمنونه على دمائهم وأموالهم فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم » . رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه .

ولقد وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن طريق الدعوة الإسلامية طريق وأدعة آمنة ، ومهما اعترضها من عقبات فإن الله تعالى متمم نوره ، وسوف يؤمن طريقها ، فقال صلوات الله وسلامه عليه لخباب ابن الارت . . وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، . رواه البخارى .

ويقص علينا القرآن الكريم أروع صور الأمن والأمان التى هياها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين والمخلصين فى أعمالهم ، وأنه سبحانه قد مكن للناس حرما آمناً فى مسكة المكربة ولكن فريقاً من المشركين المقيمين هناك ، تذرعوا بأسباب واهية وتعللوا بعلى لا أساس لها من الصحة ، فقد احتجوا لعدم اتباع الهدى بأهم يخافون على أنفسهم ولا يأمنون من أعدائهم فهم يخشون أن اتبعوا رسول الله ﷺ ، أن يتخطفهم المشركون الذين يحاورونهم ، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم تلك العلة الواهية ، ووضح لهم أنه جعل لهم حرماً آمناً ورزقهم من كل شئ فكيف نسوا أنه حرم آمن لهم فى وقتهم الحاضر وكيف لا يسكون آمناً لهم وسلاماً لهم بعد أن يدخلوا فى دين الله ، قال تعالى : « وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمسكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون » . القصص (٥٧) .

والأمن والرخاء نعمتان من أجل النعم الإلهية يهبهما الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين المخلصين ، وهو سبحانه حين أمر بعبادته ذكر عباده بهاتين

النعمةتين فقال للقرشيين : « فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ، وإذا كان الأمن والرخاء نعمتين كريمتين للمؤمنين فإنه يقابلهما نعمتان شديدتان يسلمطهما الله تعالى على الكافرين والجاحدين وهما : الخوف والجوع « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (النحل ١١٢) .

دعوة إلى الحفاظ على الأمن الداخلي

والأمن الخارجى

حذر الإسلام من إطلاق الإشاعات ، ومن إذاعة أنباء الأمن أو أنباء الخوف أو بعبارة أخرى أخبار الحرب أو السلام ، حذر الإسلام من إذاعة تلك الأنباء ومن نشرها بين الناس دون الرجوع إلى ولى الأمر ، وذلك لأن أخبار الأمن أو السلام إذا أذيعت قد تدعو إلى التراخي عن الاستعداد والتأهب والأخذ بأسباب القوة ، ولأن إشاعة أخبار الخوف أو الحرب قد تفتت في عضد البعض من الناس ومن أجل هذا نعى الإسلام على من يفعلون ذلك ويطلقون الشائعات : قال الله سبحانه وتعالى : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » . النساء (٨٣) .

وفي عدم ترويج الإشاعات حفظ للأمن الداخلى وصيانة للمجتمع من الداخل حتى لا يتسرب إليه الضعف أو الخوف والروع .

وإذا كان عدم ترويج الشائعات من أهم وسائل حفظ الأمن الداخلى ، فإن هناك عاملا آخر له أثره وفاعليته في هذا المجال ، وهو عامل إيجابى : بأن يقوم كل إنسان بعمله فلا يهمل أحد فى واجب يكلف به ولا يفرط فى رسالة يقوم بها بل عليه أن يؤدي واجبه ، وأن يقوم به على أحسن وجه بحيث يكون متقنا له ، ففي قيام كل إنسان بعمله وأداء الأفراد والجماعات لمهامهم فى هذا إستقرار وتجارب مع المجتمع فلا يكون هناك مجال للاختلاف أو ألوان الإثارات المختلفة ، ولقد حث الإسلام على العمل ودعا إلى إتقانه ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

وقال : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن
نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » .

ولقد عرفت عصور الإسلام الأولى أنظمة وإدارات لحفظ الأمن
الداخلي بين البلاد ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول من
أدخل نظام العسس وكانت الشرطة تابعة للقضاء في مبدأ نشأتها ، وكانوا
مكلفين بتنفيذ الأحكام القضائية ، وتنفيذ الحدود ، ولما تعددت الأعمال
وكثر طالب صاحب الشرطة بالاستقلال فأصبح من حقه النظر في الجرائم
والأعمال ، يقول المؤرخ الكبير العلامة ابن خلدون في مقدمته : « كان أصل
وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدادها أو لاثم
الحدود بعد استيفائها ، وكان الذى يقوم باستيفاء الحدود إذا تنزه عنه
القاضى يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا له النظر في الحدود والدماء
بإطلاق ، وأفردوها في نظر القاضى ، وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة
من مواليهم ، وكان حكمهم على الدماء وأهل الرتب والضرب على أيدي
الرعا والفجرة ، ثم عظمت نباهة الشرطة في دولة بنى أمية بالاندلس
ونوعت إلى شرطة كبرى وشرطة صغرى وجعل له الحكم على أهل المراتب
السلطانية والضرب على أيديهم في الظلومات وعلى أيدي أقاربهم ومن إليهم
من أهل الجاه وجعل صاحب الشرطة الصغرى مخصوصاً بالعامية ، وأنصب
لصاحب الكبرى كرسي بباب دار السلطان يتبوؤون المقاعد بين يديه ،
فلا يبرحون عنها إلا في تصريفه ، اه .

ومن أهم الوظائف والأعمال التى نشأت في ظل الإسلام للحفاظ على
الأمن داخل الدولة الإسلامية : « نظام الحسبة ، وكانت في مبدأ أمرها
تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم تطور هذا النظام باتساع
الدولة الإسلامية وتعدد وسائل الحياة فصارت من الوظائف الكبيرة .

والمناصب الهامة في الدولة وأصبح حق المحتسب الاستعانة برجال الشرطة في تنفيذ أحكامه .

وأصبح من عمل المحتسب أن ينظر في مراعاة أحكام الشرع والإشراف على نظام الأسواق ، وعلى الموازين والمكاييل وغير ذلك .

وقد دعا الإسلام إلى استتباب الأمن الداخلي في كل صورة من صورته وفي كل مجال من مجالاته . فإذا نظرنا إلى نظرة الإسلام إلى أمن الإنسان الذي نجده يأمر الإنسان أن يكون معتدلاً سائراً في طريق الأمان ويحذره أن يلقى بنفسه في التهلكة « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ويوضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بأن أمن الإنسان على نفسه نعمة كبيرة إذا تحققت معها عافية البدن وقوت اليوم فقد اكتملت أسباب السعادة وكأنما حيزت الدنيا للإنسان .

« من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » رواه الترمذى .

وإذا نظرنا إلى دعوة الإسلام فيما يتصل بجانب الأمن الداخلي — بالنسبة للأهل والأسرة — نجد وصاياها في هذا لا حدود لها وحسبنا قول الله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » .

وإذا نظرنا إلى الوصايا بأمن الجيران نجدها تبلغ الغاية في التأكيد لدرجة قصوى حتى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول .

« ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وقال صلوات الله وسلامه عليه « والله لا يؤمن — ثلاثاً — قيل — من يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه » .

أما فيما يتصل بدعوة الإسلام إلى الأمن الخارجى فإن الناظر إلى تاريخ الدعوة الإسلامية من أول وهلة يرى أنها قامت وانتشرت بالحكمة والموعظة الحسنة .

و ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجا لهم بالنبي
هي أحسن .

ولم ينتشر الإسلام بالحرب ولا بالسيف ولا بأى أسلوب ما من
أساليب القوة والقهر بل إن مشروعية الجهاد تنلخص حكمة في الدفاع
عن الدين وتأمين الطريق أمام الدعوة الإسلامية وفي الدفاع عن النفس
والوطن، فجهاد في سبيل الله، لاصلة له بأساليب القهر والسطو والاستعمار،
وإن المتتبع لآيات الجهاد في القرآن الكريم يجد أنها قد خصته بإطار سليم
نقى هو أنه في سبيل الله قال الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه
حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » . التوبة (١١١) .

والإسلام يدعو إلى الأمن والسلام في قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم
فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » .

وقال تعالى : « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، ويؤكد رسول الله
صلوات الله وسلامه عليه على الأمن والسلام وعلى أن من حمل على المسلمين
السلح فليس منهم فقال صلوات الله وسلامه عليه : « من حمل علينا السلاح
فليس منا » ، رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي .

ويوضح أهم سمات الإنسان المؤمن الصادق في إيمانه وهي سمات الأمان
فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « إن المؤمن من أئمنه الناس على دمائهم
وأموالهم » ، رواه البخاري .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي
في عهد رسول الله - وأن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا
من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريره شيء .

والله يحاسبه في سريره ومن أظهر لنا سوءه لم نأمنه ولم نصدقه ، وإن قال
إن سريره حسنة . رواه البخاري .

وهكذا نرى أن الإسلام يحرص على إقرار الأمن الداخلي وإقرار
الأمن الخارجي حتى يعيش الناس في استقرار وطمأنينة لا يتزعجون
ولا يخافون .

وفي ظل الأمن والطمأنينة يؤدي كل فرد واجبه على أحسن ما يكون
وتؤدي كل جماعة واجبها كأحسن ما يكون الأداء .

وفي الجوار الأمن تنطلق الكلمة المعبرة ، والفكر المبدع والعمل
المتقن المدروس .

وفي جو الأمن يحيا الناس مطمئنين فرحين مستبشرين يؤدون واجباتهم
في هدوء واستقرار ، وفي سعادة وهناء وسلام ...

دعوة الإسلام إلى أمن حقوق الإنسان

اشتملت الشريعة الإسلامية ، على كل ما فيه سعادة البشرية ، في الدنيا والآخرة ، واستوفت بتعاليمها السمحة وقوانينها الثابتة المحسنة كل ما يكفل للفرد والجماعة حياة طيبة في الدنيا ، ومشوبة عظيمة في الآخرة ، قال الله تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلننجيئنه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . (سورة النحل ٩٧) .

وكان للشريعة فضلها الذي لا ينكر حتى من أعداء الإسلام في ترسيخ دعائم الحق ، ونشر قوانين العدالة التي أنقذت الإنسانية المعذبة من غلاب الجاهالة والضلال وأخذت بيد الضعيف ، ورفعت من قيمة البسطاء العاديين والفقراء والسكادحين وكل فئات النوع الإنساني ، التي كانت تجرفها تيارات الضياع والهالك ، وهي معزولة وضعيفة لا تملك من أمرها شيئاً .

وكان للشريعة فضلها الذي لا ينكر في نظرتها الحانية إلى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل واليتامى ، والأرقاء والخدم وأصحاب المهن البسيطة والحرف العادية وغير ذلك ، فجعلت الشريعة لهم في صفوف الحياة الكريمة مكاناً واضحاً ووضعاً لا يغبنون فيه ، كل ذلك قبل أن تعرف المواثيق الدولية حقوق الإنسان بأربعة عشر قرناً . . وكان للشريعة فضلها في إعطاء المرأة حقها ، بعد أن كانت لا حق لها . . بل كانت محرومة من كل الحقوق حتى من حق الحياة نفسها ، إذ كانت تؤود وهي طملة صغيرة إلى غير ذلك من الحقوق التي لا تحصى ، في شتى المجالات ، ولأسائر فئات الناس ، من رجل أو امرأة ، ومن حر أو عبد ومن غنى أو فقير ومن أفراد أو جماعات ومن أمم أو شعوب .

لقد كفلت الشريعة الإسلامية لبنى الإنسان الكرامة والعزة ،
يتمتع بها المؤمنون السائرون على هديها ومبادئها . قال الله سبحانه : « والله
العزة ولرسوله وللمؤمنين » . (سورة المنافقون ٨) .

اساس حقوق الانسان :

وأقامت شريعة الحق بناء على دعوتها وجميع ما تقرره من حقوق
للإنسان على أساس الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له ، وهنا نقف على
عظمة الشريعة الإسلامية وحكمتها ، وعلى قوة تنفيذ هذه الحقوق من
الحاكم ومن المحكوم ، ومن الرئيس ومن المرسوم ، ومن الغنى والفقير
وهكذا . . فإذا كان الإيمان هو القاعدة التي تنطلق منها دعوة المسلمين
والنداء بحقوق الإنسان تشريعا وتطبيقا فإن للإيمان أثره في الالتزام بتحقيق
العدل والخير وبسرعة الطاعة في كل أمر وتنفيذ كل حق من الحقوق .

ويظهر جانب الالتزام بتنفيذ كل الحقوق ، على هدى من الكتاب والسنة
وطاعة لله ولرسوله ، قال تعالى دياها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر ، سورة النساء ٥٩ .

وبين الله تعالى أن في تنفيذ ما أمر به ، وفي طاعة رسوله ﷺ الرحمة
للإنسان ، قال سبحانه : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول
لعلكم ترحمون » (سورة النور ٥٦) .

وقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ،
(سورة الحشر ٧) .

وهنا نرى الفارق الكبير بين دعوة الشريعة إلى حقوق الإنسان وبين
الدعوات الأخرى التي تنادى بها المواثيق الدولية ، فإن الدعوة إلى حقوق
الإنسان ، في رحاب الشريعة ، نابعة من الإيمان صادرة عن العقيدة

الإسلامية التي يلتزم أمامها الإنسان المسلم ، ويرى ضرورة العمل والتطبيق وتنفيذ الحقوق بأسرع ما يسكون ففى تنفيذها الأمن ، وفى تطبيقها الرحمة ، وفى البعد عنها والنكوص عما تنادى به ، بعد عن حقيقة الإيمان ووقوع فى الخسران ، فثمرة حقوق الإنسان فى رحاب الإيمان أنها مأمونة الجوانب لا خوف عليها من أحد ، لأن المسلمين يصدر عن عقيدة ورامها حساب وثواب وعقاب بخلاف غيرهم .

وأما الجانب الثانى : الذى يلتزم فيه بتطبيق وتحقيق حقوق الإنسان إنطلاقاً من الإيمان فهو جانب المراقبة ، وهذا ليس موجوداً عند المسلمين ، ويظهر أثر ذلك فى سرعة إعطاء كل ذى حق حقه وعدم الجور على حقوق الآخرين ، فإذا حدثت إنساناً نفسه أن يسطو على مال الغير أو حياته أو عرضه أو حريته أو أن يسلبه حقاً ما من الحقوق فإن عنصر المراقبة يوقظ فى أعماقه الضمير الدينى الذى يجعله يدرك خطورة ما يقع فيه ومدى عاقبة الجرم الذى يرتكبه فإنه يؤمن بأن الله مطلع عليه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويعلم ما تبذرون وما تكتمون .

وكما رأينا بأن الإيمان هو الأساس الأصيل ومنه يسكون الالتزام بأداء الحقوق ومراقبة الله السميع البصير فيها ، فإن فى الشريعة الإسلامية تطبيقات لحقوق الإنسان واجبة الاداء كالزكاة وصلة الرحم وإكرام الجار وحسن معاملته وإعطاء كل ذى حق حقه فى البيع والشراء وفى العمل وفى الشركة وفى الاجارة وغير ذلك من المعاملات التى استوفها الفقه الإسلامى بأبوابه وفصوله ..

ثم كان فى الجانب الأخلاقى سموها إلى المثالية العالية حيث لا يكتفى الإنسان بالقيام بالواجب فحسب ، بل إن هناك جوانب أخرى نادى بها لإرتفاعاً بحقوق الإنسان وشمولاً لكل مناحى الحياة وجوانبها المختلفة وعلاقاتها المتعددة .

وتحقيقا للأمان على هذه الحقوق نجد في الحدود الإسلامية ما يحفظ
للإنسان حقه في الحياة وفي المال وفي العرض ، وفي الحرية والمساواة ،
والعمل والشورى والكرامة وما إلى ذلك من الحقوق التي كفلها الإسلام
وحافظ عليها ودعا لها .

ففى الاعتداء على حق « الحياة » تكون العقوبة من جنس الجريمة ،
قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف
وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك
فله عذاب أليم ، ولَكُمْ فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون »
(سورة البقرة ١٧٨ - ١٧٩) .

وبالنسبة لحق الإنسان فى الأمن نجد الشريعة قد جعلت للاعتداء على
هذا الحق حداً هو حد الحرابة ، قال تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم
وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى
الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن
الله غفور رحيم » (المائدة ٢٣ ، ٢٤)

وبالنسبة لحق « المال » نجد الشريعة قد جعلت عقوبة الاعتداء على هذا
الحق ما وضعه القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « والسارق والسارقة
فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »
(المائدة ٣٨) .

وعن حق النسل أو العرض ، نرى عقوبة ذلك فى قوله تعالى : « الزانى
والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ... »

وبالنسبة للمحصن الرجم وهكذا .. إلى آخر الحدود والعقوبات التي جاءت في الشريعة الإسلامية ولا نجد لها مثيلاً في أى قانون من القوانين الوضعية ..

إنها حدود وعقوبات عادلة تقوم بحفظ حقوق الإنسان ورعايتها وصيانتها من التعرض لها . إنها تصون حقوق الإنسان في حياته ونسبه وماله وعرضه وهكذا نرى شريعة الله تنادى بالمحافظة على حقوق الإنسان واستتباب الأمن والطمأنينة في الحياة على شتى مجالاتها .

ومما سبق يتضح أن الشريعة الإسلامية ، قد استوفت كل الحقوق بعقيدتها الصحيحة التي هي أساس العبادة والعمل والأحكام والأخلاق وبشرعاتها ومبادئها المستقيمة ، التي تصون حقوق الإنسان وتحافظ عليها وتدعو لها على هدى بصيرة .

إنها الشريعة التامة السكاملة التي أكملها الله وأتم بها النعمة ، قال سبحانه :
 « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (المائدة ٣) .

وقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم .

وبهذا التشريع الرباني المحكم والوحي الإلهي صان الإسلام حقوق الإنسان ونادى بتطبيقها ، وشرع الحدود عقوبة للمعتدين عليها ، والمقتحمين حماها بغير حق وبهذا أعطى الإنسان حقه في الحياة الكريم بعد حقبة من الزمن عاشها الإنسان يرسف في أغلال الظلم والاستعباد حتى جاء الإسلام ففك هذه الأغلال وحرره وكرمه وجعل حياة المجتمع الإسلامي تشرق بالتحديد الخالص الذي لا شرك فيه وبالعادلة السكاملة التي لا ظلم معها وأحل الإسلام السكرامة محل الاستدلال والمساواة محل التفرقة والعلم محل الجهل ،

والحرية بدل الاستعباد والتعارف والتآلف بدل التناكر والاختلاف ،
والعمل بدل البطالة والشورى بدل الاستبداد بالرأى والإيثار بدل الأنانية
والحق بدل الباطل ، وأكد الإسلام على حرمان المسلمين .

فقد جاء في خطبة رسول الله صلوات وسلامه عليه في حجة الوداع
قوله : « أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا
في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، كل المسلم على المسلم
حرام دمه وماله وعرضه .. »

ويدعم القرآن أصول الحق وركائز الإيمان مناديا بالأصول الأساسية
لحقوق الإنسان في قوله تعالى :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن
تحكموا بالعدل إن الله نعماء يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا .. » .

عناية الإسلام بحقوق الإنسان وصيانة حرمانه

لقد كرم الإسلام الإنسان ومنحه من الحقوق ما يكفل له الأمن والاستقرار وما يحفز به إلى القيام بالمستويات المنوطة به وما يدفعه إلى الاضطلاع بمهامه في الحياة فكرمهم الله سبحانه وسخر له البر والبحر ، ورزقه من الطيبات وحباه من الرفعة والخير ، بحيث فضله على كثير من خلقه ، كما قال الله سبحانه وتعالى : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » (سورة الإسراء ٧٠) .

وكان الإنسان جديراً بهذه الأفضلية ، جديراً بهذا التكريم لما سيمهد إليه من مسئولية وما سيلقى على عاتقه من أمانة إلهية ناءت بحملها السموات والأرض والجبال وأبين أن يحملها وأشقق منها ، كما قال الله سبحانه : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » . (سورة الأحزاب ٧٢) .

إن خلافة الإنسان على الأرض وقيامه بمسئوليته فيها نشراً للحق وإحقاقاً له . ودعوة إلى قيوم السموات والأرض ، وأن خلافته هذه قد مهد الله تعالى لها منذ أول وهلة ، وهياً فيها آدم عليه السلام لمهمة الخلافة فعلبه الأسماء كلها . وكانت الحكمة الإلهية قد اقتضت ذلك حتى تنشر ذرية آدم وفيهم العصا والمطيع فيظهر العدل بينهم ، عن هذه القضية الأولى في حياة الإنسان وخلقها وخلافته ، يقول الله سبحانه وتعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال : إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم لأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم

الحكيم قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون .

ولقد صان الإسلام حقوق هذا الإنسان وحفظ حرمانه وحذر من الاعتداء عليها فصان حرمة النفس وحرم سفك الدماء وصان حرمة المال فحرم الاعتداء عليه أو أكله بالباطل وصان حرمة المرض ، وفي حجة الوداع خطب الرسول ﷺ في الناس كما سبق وقال : أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

فأما حق الحياة فقد صانته الإسلام حين صان حرمة النفس الإنسانية وهدد الذين يعتدون على حياة الآخرين ظلماً وعدواناً : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » سورة النساء (٩٣) .

ونهى عن الاعتداء على حق الحياة ، وقتل النفس ، إلا بالحق فقال الله جل شأنه : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » سورة الإسراء (٣٣) .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق » رواه ابن ماجه .

وقد تناولت السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بيان ذلك الحق الذي تقتل به النفس وفيما عداه يكون الاعتداء عليها جرماً شنيعاً وعدواناً صارخاً ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » . رواه البخاري ومسلم .

ويعتبر الإسلام أن الاعتداء على النفس الإنسانية الواحدة هو اعتداء على الإنسانية بأسرها يقول الله تعالى : «من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا» (سورة المائدة ٣٢) .

وأما عن حق المال فقد عني الإسلام بتيسير طرق تحصيله وتمهيد الأرض رتذيل السبل فمن طريق الزراعة وجه الإسلام أتباعه إلى استنبات الأرض واستثمارها ونعمه موجودة منتشرة حيث أعدها ومهد لها لذلك قال سبحانه : «فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم» سورة عبس (٢٤ - ٣٢) .

كما أشار إلى تحصيله عن طريق الصناعة (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (سورة الحديد ٢٥) .

وأمر الإسلام بتحصيل المال أيضا عن طريق التجارة قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

والعناية بالأموال في جميع الأديان شرعة قديمة لم تختص بها أمة دون أخرى وقد أنزل الله سبحانه وتعالى جزاءه وعقوبته ببعض الأمم وبعض الناس الذين كانوا يأكلون الأموال بالباطل وأشاعوا الظلم بين العباد وأكلوا الربا فعاقبهم الله سبحانه وتعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » سورة النساء (١٦٠ - ١٦١)

وتمثل الزراعة والصناعة والتجارة عمود الحياة الاقتصادية التي لا يمكن أن يعيش بدونها مجتمع ما من المجتمعات ، فسكان المجتمع إلى الزراعة

لتوفير المواد الغذائية فإنه يحتاج إلى الصناعة لإعداد ملبسه ومسكنه ويحتاج إلى تبادل كل هذا مع المجتمعات والأمم الأخرى التي لا تقم فيها الزراعة أو الصناعة وذلك عن طريق التجارة .

والاسلام حين يؤكد الوصية بصيانة حق المال فإنه يعمل على توثيق الحقوق بين العباد وذلك بالوفاء بالعقود .

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (. . سورة المائدة ١) .
ويأمر بالكتابة حال الدين : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » (سورة البقرة ٢٨٢) .
ويأمر بالاشهاد في البيع محافظة على الحقوق « وأشهدوا إذا تباعتم » (سورة البقرة ٢٨٢) .

وحرم التعامل بالظلم كالربا وهدد المتعاملين به بالحرب في قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فليكن رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » . (سورة البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩) ،

وإلى جانب صيانتها للأموال فإنه وجه الإنسان إلى إنفاقها في وجوها المشروعة وأداء الحقوق الواجبة فيها . فينتفك منها على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل قال الله : « وآت ذا القربى حقه والمساكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون » .

وأما عن العرض فقد صان الاسلام حرمة الأعراس وحفظ كرامة الناس وحذر من الغيبة والنميمة ، والوقوع في حق المسلم أو شرفه وكرامته ، وحرم السخرية بالناس واللعن والتنازع بالألقاب ، ثم إنه ألزمهم كما حذر من التجسس قال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم سخرى

أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلبسوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاثم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، .. سورة الحجرات (١١) .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ويقول الرسول ﷺ يحذرا من الظن : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث .. ولا تحسسوا ولا تجسسوا » .

ويحرم الرسول ﷺ تتبع عورات الناس يقول صلوات الله وسلامه عليه : « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » رواه أبو داود .

وهكذا نرى عناية الاسلام بحقوق الانسان وصيانة حرمااته والمحافظة عليها ، وقد تربي وتعلم على هذه النعاليات الالهية القويمة الرعيل الأول من هذه الأمة فصانوا الحرمات وحافظوا على الحقوق وأدروا الأمانات فعاشوا حياة سعيدة رشيدة تفيض عدلا ورحمة وأمانا .

لقد ترعرعت ضمائرهم على الأمانة وعاشوا حياة مترعة بالحب والخير ، كانوا أمانة بمعنى الكلمة يراقبون ربهم في السر والعانية لا يخافون في الحق لومة لائم ولا تغريهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها وبهجتها .

وهذا هو عبد الله بن دينار يقول خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فعرسنا في بعض الطريق (أي نزلنا للاستراحة) فأنحدر بنساراع من الجبل فقال له : يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال : إني مملوك فقال : قل لسيدك أكلها الذئب) يريد بهذا أن يخبر أمانته وتقواه فقال الراعي : فأين الله ؟ فبكي عمر رضي الله عنه ثم غدا مع المملوك ، فاشتراه من مولاه وأعتقه ، وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة .

-- ٣٩ --

وَأَرْجُو أَنْ تَعْتَقَكَ فِي الْآخِرَةِ . هَكَذَا عَاشَ الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَمَانَةٍ كَامِلَةٍ لَا نَظِيرَ لَهَا .

وَمَا أَحْوَجَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ فِي شَتَى أَنْحَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يَأْخُذُوا بِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ وَأَنْ يَطْبِقُوا مَبَادِئَهُ الْقَوِيْمَةَ وَأَنْ يَحْتَصِمُوا بِحُجْلِ اللَّهِ جَمِيعًا حَتَّى تَسْتَقِرَّ الْحَقُوقُ وَيَنْتَشِرَ الْأَمْنُ وَتَصَانَ الْحُرُمَاتُ وَيَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بَرَكَاتُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَيَتِمَّ نَصْرُ اللَّهِ لَهُمْ وَيَوْمُنْذُ يَفْرَحَ الْمُؤْمِنُونَ .

حرمة النفس وحققها في الحياة

حق الحياة بالنسبة للإنسان أغلى ما يكون ، إذ أن الحياة منحة إلهية . أعطيت للإنسان . ليقوم برسالته على ظهر الأرض وليؤدي رسالته في الحياة إيماناً وعملاً . وعبادة لله الخالق الرزاق المحيي المميت ، الذي بيدو مقاليد السموات والأرض وهو على كل شيء قدير .

وقد حدد الإسلام مهمة الإنسان في الحياة ورسالته فيها ، باستخلافه في الأرض وقيامه بتوحيد خالقه ورأقه وعبادته وحده لا شريك له وشكراً لله على آلائه ونعمائه وهو سبحانه الغنى الخيد .

قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، ٥٦ - ٥٨ الذاريات .

إذا فلم يخلق الله عباده عبثاً - حاشا لله - وليست حياة الناس من السهولة بمكان بحيث يتخلصون منها أو يعتدون على نفوس غيرهم ، فإن الحياة والموت بيد الله المحيي المميت .

في خطبة الوداع :

وأكد الإسلام حرمة النفس وحققها في الحياة ووضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هذه الحقيقة في خطبة الوداع إذ يقول :

(إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عايكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

من أجل هذا نجد أن الإسلام قد حرم كل ألوان الاعتداء على حق الحياة بأية صورة وعلى أي وضع كان هذا الاعتداء والظلم .

فحرم قتل الأولاد الصغار ، وحرم وأد البنات كما كان في الجاهلية ،
وأفكر عليهم تلك الوحشية الظالمة : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه
مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون
أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » .

قال سبحانه : « وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت » وقال تعالى :
« ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا
كبيرا » الاسراء ٣١٠ .

كما حرم اعتداء الانسان على نفسه كظاهرة الانتحار قال تعالى : « ولا تقتلوا
أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » النساء ٢٩٠ .

ولارتكب هذا الجرم عقابه في الآخرة من نوع ذنبه وجريمته في الدنيا
فإن قتل نفسه بسم أو حديدة أو تردي من جبل فهو على ذلك في النار .

قال رسول الله ﷺ « من تردي من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم
يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا . ومن تحصى سما فقتل نفسه فسمه في يده
يتحساه في نار جهنم خالدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في
يده يتوجأ بها في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » . رواه البخاري ومسلم .

تحريم قتل الغير :

كما حرم الاسلام قتل الغير بغير حق وتوعد عليه فالقتل من أكبر
الكبائر وأخطر الجرائم وأشدّها على الأفراد والجماعات ، إنها جريمة إذا
ظهرت في مجتمع أو تفشت في بيئة ، نشرت الرعب والفزع وقضت على
الآمن والاستقرار وأشاعت الاحن والبغضاء ، تنبت على الروابط
الانسانية ورملت النساء ويتمت الأطفال ، لهذا أنزل الله تعالى في شأن

القاتل وعيدا شديدا ، قال سبحانه : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه
سجنهم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » .

وقال سبحانه : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » ، وهذا
الحق فسرته السنة الشريفة ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « لا يحل دم
امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث :
التيب الزانى ، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » ، رواه
البخارى ، ومسلم .

القصاص في الشريعة :

ولما كان في القتل عدوان على النفس بغير حق للنوع الإنسانى وإفساد
المجتمع وقضاء على عضو من أعضائه وإهدار الحق الحياة وهو أغلى شئ
عليه شرع القصاص زجراً للناس وجوازاً على الاعتداء على النفس فهو من
أعظم الجنايات بعد الشرك بالله لهذا كان القصاص ليكف الجانى وتسلم
الحياة من العدوان وصدق الله إذ يقول : « ولكم في القصاص حياة يا أولى
الالباب لعلكم تتقون » .

وحين تحدث القرآن عن أول جريمة قتل على ظهر الأرض في قوله تعالى :
« وAtl عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل
من الآخر قال لأقتلنك قال : إنما يتقبل الله من المتقين » .. حين تحدث
القرآن بهذا النبأ كشف عن طبيعة العدوان الكامنة فى النفوس الشريرة
والعدوان الصارخ منها وكشف عن الجريمة المنكرة التى تثير انضمام الإنسانى
والشعور الجارف الحار والحاجة الملحة إلى قصاص عادل « يصون حق النفس »
فمن أجل هذه النماذج الشريرة والعدوان الصارخ على الأبرياء ، كان قتل
النفس الواحدة حين لا يكون قصاص ولا دفاع عنها ، يمثل قتل جميع الناس
لأنها واحدة من نفوس البشر جميعا ، تشترك هى وغيرها فى حق الحياة وكان

إبقاؤها حية والدفاع عن حقها في الحياة أو بالقصاص ، إذا اعتدى عليها يمثل لإحياء النفوس جميعا في صيانة حياتها صيانة لحق الحياة الذي يشترك فيه الناس جميعا ، فقال تعالى تعقيبا على نبأ ابني آدم : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »

القصاص حياة

وقد بين الله تعالى أن القصاص حياة وهذا هو وجه الحكمة فيه ، قال سبحانه : « ولكم في القصاص حياة » وذلك من وجوهين :

الأول : أن فيه الحياة بطريقة الزجر فإن الإنسان الذي يقصد قتل إنسان آخر إذا فكر في عاقبة أمره ، وما يلحقه من جريمته ، وأنه إذا قتله قتل به انزجر عن قتله فكان حياة لهما ، لذا فإن الإنسان الذي تحدته نفسه بهذه الجريمة ، حين يعلم أن حياته ثم لجريمته أو أنه إذا قطع أو أتلّف عضوا الحق به مثل ذلك ، فلا شك أنه يفكر مرات قبل الاقدام على مثل هذه الجريمة مما يجعله يكف عما يريد ، فتكون فيه حياة لمن يريد الاعتداء عليه وحياة له ، وليس الأمر كذلك حين يعلم أن جزاءه السجن مثلا ، إذ أن الحاقه عقوبة في البدن مثلا قطعاً أو تشويهاً في الخلقة شيء غير آلام السجن .

الثاني : أن في القصاص دفعا لسبب الهلاك ، فإن القاتل - بغير حق - يصير حربا لا هوادة فيها على أولياء القتيل لإحساسه بأنهم يلاحقونه لما ارتكبه فهو يخشى على نفسه منهم . فيقصد حرهم ويتمنى إفناءهم لينزول شبح الخوف الذي يلاحقه ويتابعه والشرع قد مكّنهم من قتله قصاصا لدفع شره عن أنفسهم ،

وفي القصاص إطفاء لثورات القلوب المشتعلة بالسخط والكرهية ،

وقضاء على حزازات النفوس ، التي يقودها الغضب والحمية إلى ظاهرة النار ذات العواقب الوخيمة ظاهرة النار التي تحرك أهل القتل لتلمس كل ذريعة لإرواء أحقادهم ، وتحين الفرصة لإهدار الدماء التي لا تقتصر على القاتل وحده أحيانا بل تسيل الدماء على مذابح الاضغان العائلية وبين الحين والحين يهدر دم من هنا ودم من هناك .

لهذا كله شرع القصاص فسكان فيه حياة بكل ما تنسج له معنى الحياة ، حياة لمن تحدته نفسه بالقتل فيكف عنه حين يعلم مصيره وفيه حياة لمن كان سيقع عليه القتل وفيه حياة للعائلات والأفراد والجماعات بسد باب النار والعدوان .. ففي القصاص شفاء لنفوس أهل القتل من الحقد والرغبة في الشر .

عناية الإسلام بحرمة الأموال

عنى الإسلام بالمحافظة على حرمة الأموال ، كما عنى بالمحافظة على حرمة النفس الانسانية وعلى حرمة الأعراض تلك الحرمات الثلاث التى هى أعلى ما يحرص عليه كل إنسان فى حياته ومن أجلها يضحي بحياته نفسها . ولقد حفلت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه بالعناية بها ليأمن الناس فى مجتمعاتهم ، وتسكن حياتهم ، فلا تدنسهم فاحشة ، ولا يلاحقهم خوف ، ولا يفزعهم عدوان ، وفيما رواه الشيخان من خطبة الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم النحر . . فإن دماء وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه .

وأريد هنا أن أبرز جانب عناية الإسلام بحرمة الأموال ، وأن الله تعالى قد حرم أكل الأموال بالباطل فقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » .

وفى هذا تذكير لهم برحمة الله بهم وإذا لم يجد التذكير فهناك التحذير :

« ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا » ويوضح القرآن الكريم مدى رحمة الله الواسعة إذا اجتنبت الكبائر ولم يعتد على حرمات العرض والمال والنفس فقال سبحانه وتعالى :

« إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » . وإذا نظرنا إلى تعاليم الإسلام فيما يتصل بجانب المحافظة

على حرمة الأموال وجدنا أن الإنسان مشغول عما بيده من مال من جهة امتلاكه والحصول عليه ، وجهة صرفه وإنفاقه من أين اكتسبه وفيم أنفقه . ولا يقبل الله أى تصرف للمال إذا لم يكن طيبا وحلالا حتى ولو أنفقه فى وجوه الخير وفى الحديث : « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع ذلك جميعا ، ثم قذف به فى نار جهنم » .

وكثير من الناس يظن أن ما اكتسبه من حرام إذا أدى زكاته أو إذا قام بإنفاقه فى وجوه الخير لا يكون عليه إثم . وهذا خطأ فاحش وزعم باطل لا أساس له .. وكما أن المال الحرام لا ينفع صاحبه ولو أنفقه فى الخير . بل يكون زاده إلى النار فكذلك يمنع الكسب الحثيث والمال الحرام من قبول دعاء صاحبه ، قال سعد بن أبى وقاص : « يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال النبى ﷺ « يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده ، إن العبد يقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به » .

وقد دعا الإسلام إلى العمل والكسب الطيب الذى يكتسب به العبد العزة والكرامة والذى يدفع عن نفسه ذل المسألة ومد اليد كما رسم منهج الإنفاق فى قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : (اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعمل . وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله) (رواه البخارى) .

وكما دعا الإسلام إلى الكسب والاتفاق فى الوجوه المشروعة ، فقد نهى عن إضاعة المال . وصرفه فى غير منفعة أو فيما حرم الله ، فالرجل الصالح يكسب المال الصالح لينفقه فى العمل الصالح ، وفى الحديث (نعم المال الصالح

للرجل الصالح) وإضاعة المال بما يكرهه الله لعباده من الخصال وفيما رواه مسلم يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

« إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا . وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاة الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) .

وليست السعادة الحقيقية في جمع المال وصرفه على حسب الهوى والرغبات النفسية والمتعة المادية والجسدية ولكن المال الذي يغبط عليه صاحبه هو الذي يصرف في الوجوه المشروعة وفي جانب الحق يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على ما آتاه الله في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) رواه البخاري .

ولم تقتصر تعاليم الإسلام في العناية بحرمة الأموال عند تحديد طرق كسبها ووسائل إنفاقها وعدم إضاعتها في الباطل .. لم تقتصر على ذلك فحسب بل إن الشريعة الإسلامية . قد أحاطتها بعناية كثيرة وفرضت عقوبات رادعة على لكل من يعتدى على حرمة الأموال فقررت قطع يد السارق فقال الله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » المائدة (٣٨)

وشدد الإسلام في تنفيذ حد السرقة حتى لا يتلاعب الناس ويسطو بعضهم على بعض ويأخذ أحدهم حق الآخر . عن عائشة رضي الله عنها : « إن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشف في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : أيها الناس إنما أهلك الذين قبلوا منكم

كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) . . (رواه مسلم) .

ويشدد الإسلام في الوعيد لمن يغصب حق امرئ مسلم أو يقطع يده فيقول صلوات الله وسلامه عليه : (من غصب شبرا من أرض طوقه الله تعالى من سبع أرضين يوم القيامة) ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » ، رواه أحمد .

وفي حال الاعتماد على المال أجاز الإسلام للمالك أن يدفع عن ماله كل معتمد حماية لحرمة المال ، وحفاظاً على الملكية الفردية مهما كلفه ذلك . وفي الحديث : « من قتل دون ماله فهو شهيد » . رواه البخاري .

وقد أعلن رب العزة سبحانه وتعالى خصومته ووعيده لمن يأكل حق إنسان أو عامل أو أجير أو لا يعطيه أجره كاملاً ، قال ﷺ :

(قال الله عز وجل : ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره) رواه البخاري .

وحماية الملكية وحفاظاً على حرمة المال ، حرم الإسلام للغش في السكيل والميزان فقال تعالى : « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » . (المطففين (١ - ٢) .

وحرم الإسلام الربا . والقرض بفائدة حتى لا يظلم الناس بعضهم بعضاً ، قال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (٢٨٨ - ٢٧٩) .

وتوعد الله سبحانه أولئك الذين يـكنزون المال ولا ينفقونه في سبيل الله
توعدهم بعذاب أليم فقال سبحانه « والذين يـكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يـسمى عليها في نار جهنم
فتسكوى بها جبابهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا
ما كنتم تـكنزون » الآية (٣٤ - ٣٥).

وهذا الوعيد هو لاء لأهم أكلوا حق الفقراء والمحتاجين وكنزوا المال
واحتسكروه ، فهم بالتالي لم يحفظوا له حرمة ، ولم يصونوا للمحتاجين حقا
هذا وإن الاعتداء على حرمة الأموال بأية صورة من الصور أو أية حيلة
من الحيل ظلم كبير ، وإثم لا يتحلى منه ولا تقبل من صاحبه توبة إلا برد
الحق إلى صاحبه ، ومها يسكن ، صالحا أو أضحيته عظيمة ، فإن كل أعماله
في ضياع ،

أمن المعاملات في الإسلام

كثير من النظم الدولية الحديثة أقرت الأحكام التي وصل إليها مفكروها واستحدثت القوانين التي وصل إليها فكرها البشرى المحدود ومعظم تلك النظم والقوانين كانت تستهدف إستباب الأمن • توفير الرخاء وطمأنينة الأفراد والجماعات على حقوقهم .

ولكن المجتمعات البشرية ما فتئت تعاني من الظلم وتعاني من شبح الخوف الرهيب الذي راح يطاردها في مجالات عديدة من حقوقها المشروعة .

وترنحت تلك النظم والقوانين أمام عصابات متباينة : منهم من استطاع أن يفلت من القانون فلم يقع تحت طائلة العقاب .

ومنهم من استطاع أن يتحايل عليه ببعض من الدهاء والمراوغة .

ومنهم من أمن عاقبته لمسا له من جاه ونفوذ فلم يعر هذه النظم ولا تلك القوانين بالا .

وعاش الضعفاء كما هم مهضومين الحقوق . . وعاش المظلومين كما هم لا يملكون قليلا ولا كثيراً فلم تستطع القوانين البشرية أن ترد لهم حقاً مسلوباً ولا مالا منهوباً !! والسبب من الوضع بمكان بحيث لا يخفى على إنسان عاقل فلم تتوفر هذه النظم أو تلك القوانين من الضمانات ما يكفل لها السلامة والاستمرار ولأنها ليس لها من القداسة والوازع الدينى مثل ما للأحكام الشرعية .

فقد توافرت --- في الشريعة الإسلامية ضمانات عديدة لسلامة التعاقد وصيانة حقوق الإنسان . . والحفاظ على الديون والأعمال والتجارة.

المؤجلة والحاضرة والتعامل مع المقيمين أو المسافرين كل ذلك استوفاه الإسلام .. ونادى بتنظيم العلاقات التجارية والمعاملات المالية .

فإن تلك المعاملات أو الديون أو التجارة : إما أن تكون مؤجلة وإما أن تكون حاضرة .

والمتعاملون : إما أن يكونوا مقيمين وإما أن يكونوا مسافرين .

* فأما الجانب الأول من المعاملات : وهو ما كان لى أجل مسمى فقد قرر الإسلام له (مبدأ السكناية) وجعله مفروضاً بالنص . كما اشترط فيمن يقوم بتحقيق هذا المبدأ وهو السكناية أن يكون عادلاً وألا يكون أحد المتعاقدين بل لابد أن يكون شخصاً آخر ليسكون منصفاً ومحايذاً وبعيداً عن الميول الشخصية أو الأهواء والأغراض .

ومذا التكليف والاشتراط إنما هو من الله سبحانه وتعالى قرره حفاظاً على الحقوق وصيانة لها من الضياع .

وكما قرر الإسلام مبدأ السكناية فإنه وضع كيفيةها لجعل على المدين وهو الذى عليه الحق أن يملى اعترافاً بالمدين من جهة وبمقداره وشرطه من جهة أخرى وذلك حتى لا يسع ظلم عليه إذا ما أملى الدائن قال إلى مصلحته فيرضخ له المدين لحاجته أنئذ .

وفى نفس الوقت يأمر الله تعالى بأن يتق ربّه وألا يبخس صاحب الحق حقه ،

ولسكن قد يكون المدين ليس أهلاً لهذا فما الحل ؟ هنا يقرر الإسلام بأن يقوم القيم بهذه المهمة وعليه أن يلزم العدل والحيلة والدقة حتى لا يفرط فى شيء من الحقوق لأنها لا تخصه

ثم مع الكتابة كبداً من مبادئ الضمانات لسلامة التعاقد يقرر الإسلام للشهادة وأن الشاهدين لابد أن يكون كل منهما عدلاً ولا بد وأن يرضى الطرفان بالشاهدين . . فإن لم يتيسر وجود رجلين للشهادة فليشهد رجل وامرأتان وإنما كانت امرأتان في مقابل رجل لقلة خبرة النساء في مجال التعاقد ولأن طبيعة المرأة الانفعالية قد تقال من شهادتها فتنسى وتضل فكانت امرأتان للشهادة حتى إذا نسيت إحداهما ذكرتها الأخرى .

ويحذر الإسلام الجماعة الإسلامية إذا ما طلب من أحد منهم الشهادة أن يأبى لأن في الإباء وعدم الإدلاء بالشهادة ضياعاً للحقوق بين الناس . . كما يؤكد أمر الكتابة سواء كان الدين صغيراً أو كبيراً إحقاقاً للحق ونشراً للعدل في المجتمع الإسلامي .

هذا كله موجود في كتاب الله تعالى ونادى القرآن الكريم به وذلك في قول الله سبحانه .

(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونوا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تفضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تساموا أن تسكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلك أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا) . سورة البقرة : ٢٨٢ .

هذا ما يتعلق بالجانب الأول من المعاملات وهو ما كان إلى أجل مسمى .

* وأما ما يتعلق بالجانب الثانى من المعاملات : وهو التجارة الحاضرة فقد استثنيت من شرط الكتابة فلا جناح إذا لم يكتبوا ولكن فيها الشهادة .

ومن أجل ترسيخ دعائم الحق وحنى لا يبتار على الكتاب الذين يكتبون الحقوق أو على الشهداء الذين يشهدون فقد وصى القرآن الكريم بهم إذ أنهم معرضون — من أحد الطرفين — ممن لم تروقه الكتابة أو الشهادة ،

فقد يعتدى عليهم أحد الطرفين حين لا توافق الكتابة أو الشهادة . هوام وعندئذ قد يقع ظلم عليهم أو إعتداء . . فيوصى الإسلام بهم ويرسى لهم حقوقاً مشروعة على المجتمع الإسلامى . كما قرر عليهم واجبات من قبل فى إسحاق الحق واستتباب العدل والأمن فقال تعالى :

(ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم) .

* وهناك ناحية أخرى : قد يكون المتعاقدان فيها على سفر ولم يجدا كاتباً حينئذ يكفل الإسلام الحقوق ويضع الضمانات وذلك بمشروعية الرهن فيأخذ الدائن الرهن ضماناً لحقه . وكما أن الدين أمانة فى عنق المدين فإن الرهن — أيضاً — أمانة فى عنق الدائن قال تعالى :

(وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه) .

كما ينهى الإسلام عن كتمان الشهادة حتى لا تضيع الحقوق . قال تعالى :

(ولا تكتموا الشهادة ومن يسكتها فإنه أثم قلبه والله بما تعملون
عليم) .

وهكذا نرى عناية الإسلام بسلامة التعاقد وإرساء الضمانات الكافية
حفاظاً على حقوق الإنسان في المجتمع الإسلامي وصيانة للمعاملات المالية
والعلاقات الإنسانية .

حماية المعاملات المالية من الشبهات

لقد حرم الإسلام كل نوع من المعاملات فيه أكل لأموال الناس بالباطل ، أو هضم لحقوقهم ، حفاظاً على حقوق الناس ، وصيانة للمعاملات من أن تتسرب إليها دواعي الظلم والفسوة ، التي تتنافى مع روح الرحمة والتعاون ، التي جاء بها الإسلام ، وحث أتباعه عليها في العديد من المواقف والتعاليم ، وأن أنواع الظلم والاعتداء على أموال الناس وحقوقهم تتخذ صوراً كثيرة وأشكالا مختلفة .

فمنها السرقة والغش وتطفيف السكيل والميزان ، ومنها ما يأخذ صورة استغلال حاجة الإنسان كالربا ، أو صورة استغلال النفوذ كالرشوة ومنها غير ذلك من المعاملات التي تنسم بالباطل ، والاعتداء على حقوق الناس ، وظلمهم ، وقد جاء النهى عاما لكل ما فيه أكل لأموال الناس بالباطل فقال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) النساء (٢٩ ، ٣٠) .

أما الربا فهو تعامل بعيد عن روح الإسلام ، بعيد عن كل مبدأ إنساني ، بعيد عن العدل والأمانة والتعاون والتكافل ، إنه صورة من العدوان على حقوق الناس واستغلال حاجتهم لأكل أموالهم بغير حق .. فمن احتاج إلى قرض من أخيه فاستغل حاجته وزاد عليه فهو ربا ، والقاعدة في ذلك (أن كل قرض جر نفعا فهو ربا) .

وقد كان السلف رضوان الله عليهم يدركون خطر الربا وشدة تحريمه ،

لدرجة أن الواحد منهم ، كان يتخرج من أن يستظل بظل شجرة المقترض أو حائطه ، وقد حارب الإسلام الربا وتوعد بالحرب آكله ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فإن تبتم فلمكن رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) . البقرة (٢٧٨ - ٢٧٩)

والذين يأكلون الربا ويحارون فيه رغبة في تحليل ما حرم الله ، فحالهم كحال المجنون الذي يتخبطه الشيطان من المس فهو يتخبط بحسبه غير مستقر ولا ثابت ، وهكذا حال من يتخبط في تفكيره محاولاً تحليل ما حرم الله ، ويحاول تحليل الربا ، لأن البيع حلال فقال إن البيع مثل الربا ، فأفسد الله تعالى هذا التخبط والاعتداء على حرمة الله ، وبين سبحانه أن المرابي إن لم ينته عن الربا ويكتفى برأس ماله فهو من أصحاب النار ، هذا مع ما يحول الله به بينه وبين ما يطمع فيه من الربا حيث يحق الله ويذهب به ، على عكس ما يكون في المال الذي يخرج المسلم منه الزكاة والصدقة حيث يبارك الله فيه بالزيادة والنماء والخير ، عن هذا كله يحدثنا القرآن الكريم :

(الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) البقرة (٢٧٥) .

ومن أنواع أكل الأموال بالباطل ، الرشوة ، وهي ما يدفع لصاحب جاه أو منصب أو قس أو عامل من أجل الحكم له أو لإنجاز عمله أو تأخير غيره وهكذا فقد حرم الإسلام مصانعة الناس واشتراء أحد . . (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تدلوا بها إلى الحكم لتأكلوا فريقتاً

من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون (البقرة ١٨٨) . وفي الحديث :
 « لعن الله الراشئ والمرئشئ في الحكم » رواه أحمد والترمذى ، وحرمها
 الإسلام بالنسبة للعالم وما يدفع إليهم في صورة هدية وهى فى الحقيقة رشوة
 مقنعة عن أبى حميد الساعدى أنه قال : استعمل النبى ﷺ رجلاً من الأزد
 يقال له : ابن ألبتية على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي إلى ،
 قال : فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنى
 استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول هذا لكم وهذا
 هدية أهديت لى ، أفلا تجلس فى بيت أئمة وأمه حتى تأتية هديته إن كان
 صادقاً ؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حله إلا لقي الله يحمله يوم
 القيامة فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمله بغير آله رغاء أو بقرة لها
 خوار أو شاة تبحر ، ثم رفع يديه حتى رأتى بياض إبطيه يقول : « اللهم قد
 بلغت » رواه الشيخان .

وحرم الإسلام الرشوة فى أى شكل كانت وبأية صورة من الصور
 المقنعة ، ويرسئ الإسلام قاعدة لمن استعمل على أى عمل من الأعمال
 وأعطى راتباً على ما يقوم به . فما أخذه بعد ذلك فهو خيانة وضرب من
 من الرشوة قال ﷺ . « من استعملناه على عمل ورزقناه رزقاً فما أخذه بعد
 ذلك فهو غلول » رواه أبو داود ، ولعن رسول الله ﷺ « الراشئ والمرئشئ
 والرائش » رواه أحمد .

واقعد وعى السلف خطورة الرشوة فى كل أشكالها وصورها فامتنعوا
 عن كل ما فيه شبهة ، فعندما بعث رسول الله صلى عليه وسلم عبد الله
 ابن رواحة إلى اليهود ليقتدر ما عليهم من الخراج فعرضوا عليه بعض
 المال ، فقال لهم : « فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإننا لا نأكلها »
 رواه مالك .

وهكذا نرى أن الإسلام قد صان حقوق الناس وحافظ على
أموالهم وحرم كل ما فيه أكل لأموال الناس بالباطل فحرم الربا وحرم
الرشوة كما حرم الغش وتطيف السكيل والميزان ، والسرقه ،
والغصب والاحتكار والتلاعب بالأسعار والاستغلال وغير ذلك مما هو
حرام أو فيه شبهة ، حتى تستقر المعاملات وتنظم ، ويحيا الناس أمتين
على أموالهم وحقوقهم

صيانة الحقوق في الإسلام

لا توجد في أنظمة البشر ولا قوانين الأحياء على ظهر الأرض من مفكرين وباحثين نظام كفل الحقرق ، وصان أموال الناس ودماهم وأعراضهم كما صانها الإسلام وحافظ عليها .

وكم تعددت نظم إقتصادية، وتنوعت مبادئ وأشكال، وظهرت مذاهب وأفكار وتدارسها الناس، وبحثها الباحثون وناقشها المفكرون ، وما من مذهب من تلك المذاهب إلا والاعتراضات عليه واردة إن لم يكن متعبرا أو مرفوضا .

وما من نظرية من تلك النظريات في القديم إلا وظهر في الحياة الحديثة قصورها ، وما من نظرية من النظريات الحديثة إلا وظهرت نظرية أخرى تناقضها وهكذا .

ومن هنا كان السائرون على تلك المذاهب الحديثة ، أو الأخذون بهذه النظريات متأرجحة مذاهبهم ، ومهزوزة حياتهم الاقتصادية ، ومعاملاتهم المعاشية .

وما من جماعة أو أمة أخذت بنظام الإسلام الاقتصادي إلا وكانت ثابتة الخطى مطمئنة الحياة ، تمشي بمبادئها المطمئنة لا تناقض ولا اختلاف ولا تعثرى حياتهم هزرة إقتصادية من تلك الهزات التي قد تطيح بالنظرية برمتها .

والسبب في ذلك واضح كل الوضوح، إذ أن الاقتصاد في ظل الإسلام قائم على أسس أصيلة . ومحكوم بقوانين إلهية لا يعتورها شك ولا خطأ ، ولا تناقض ولا تضارب .

إنه يقوم على تحصيل المال من الطريق الحلال من البيع والشركة والوكالة والمضاربة والمساقات والزراعة والإجارة وإحياء الموات والهبة والعطية .
والهدية والوصية الخ .

كما وجه الإسلام أتباعه إلى العمل والسعى والسكنب، وأمر باستصلاح الأراضي ، واستخراج ما فيها من كنوز وخيرات ، وأمر بالسير والنظر في الأرض .

فقد سخر الله لعباده الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وأنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وهباً الله لكل كائن حتى رزقه ، من طعام وشراب ومن غذاء وكساء .

ومن أسرار القدرة الإلهية الفائقة ما أودعه الخالق المقتدر سبحانه وتعالى داخل الأرض ، وفي أعماق التربة الأرضية من غذاء للنبات . .
يستمد غذاءه ونمائه منها ، وما بعثه في الجو من شمس وهواء وما يرسله من ماء ، ولكل ذلك أثره البالغ في إمداد النبات بالغذاء والنماء

ثم ما هبأه الله سبحانه وتعالى في النبات من غذاء الإنسان والحيوان ،
ولقد وجه الله تعالى الإنسانية إلى ما وهبها من نعمة ، وأمر الإنسان بالنظر إلى أصل طعامه ، وكيف مر بمراحل عديدة ، قال تعالى :

(فليُنظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شققا
فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتونا ونخلًا وحدائقاً غلبا وفاكهة ، وأبا
متاعاً لكم ولأنعامكم) سورة عبس (٢١ - ٣٣) .

وهذا الكون الفسيح بما فيه من سماوات وأرض ، ومن ثمرات ونبات
وبحار وأنهار وشمس وقمر آثر ذلك ، نعم وإفارة أسبغها ، ثبات أسبغ غير ما على
الناس ظاهرة وباطنة ..

قال الله تعالى :

(الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الدواب لتجربوا البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وأنكم من كل ما سألتوه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلم كفار) سورة إبراهيم (٣٢ - ٣٤) .

وفى سبيل حماية الاقتصاد والحفاظ على الحقوق المالية للناس قرر الاسلام عقوبة قطع اليد بالنسبة للسارق :

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عذب حكيم) المائدة (١٣٨) .

كما هدد الاسلام وتمعد الغاصبين لحقوق الغير يقول رسول الله ﷺ :
« من غصب شبراً من أرض طوقه الله تعالى من سبع أرضين يوم القيامة »
وحماية للحقوق المالية للإنسان ، وصوناً للاقتصاد فى كل صوره وفى شتى وسائله ، دعا الاسلام إلى العمل ووضع أن خير ما يأكله الإنسان هو ما كان من كسب يده .

قال رسول الله ﷺ : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

وقال ﷺ للعامل الذى ورمت يده من آثار عمله وكده : « تلك اليد يحبها الله ورسوله » .

أما عن حق العامل وأجره ، فإن نظرة الاسلام إليه نظرة قوية ومؤكدة ، فقد دعا إلى الوفاء بحق كل عامل وأنذر الله أصحاب العمل الذين يحورون

على العاملين أو يظلمونهم أنذرهم الله تعالى بخصومته لهم وبحربه .

ففيما رواه الإمام البخارى ، يقول رسول الله ﷺ :

« قال الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بسمى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » .

ولم يستكتف الإسلام في هذا الصدد بحفظ حق العامل وعدم الجور أو التعسف لحقه ، وإنما دعا إلى سرعة إعطائه حقه في الحديث : « أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه » .

ف للجهود الانسانية في ميزان العدل الالهى منزلتها وكرامتها وحقها الأكيد الذى لا يصح العدوان عليه ، أو إهماله بحال من الأحوال أياً كان نوع تلك الجهود يدوية كانت أو ذهنية أو غير ذلك .

هذا ، والمتصفح لآيات الكتاب العزيز ، ولأحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وإلى كتب الفقه الاسلامى سيرى إلى أى مدى صان الاسلام الحقوق ، وأحاطها بسياج منيع من الأمانة ، والحل ، وحذر من الخيانة والظلم ، والعدوان . لقد صانها بالنسبة للأفراد ، كما صانها بالنسبة للجماعات ، وفصل المعاملات المالية وغير المالية . ما يتعلق بالنقدين وما يتعلق بشمرات الأرض ، وما يتعلق بالنبات والحيوان .

وأبواب الفقه الاسلامى مفصلة وواضحة بالنسبة لسكل صيغة من صيغ التعامل .

ولقد أحل الله البيع وحرم الربا ... وأمرنا بالأمانة ، وحرم الخيانة وشرع الخيار بين المتبايعين .

وفي الفقه الاسلامي : السلم والقرض والرهن ، والضمان ، والكفالة ،
والحوالة ، والصلح ، والحجر ، والوكالة والشركة والمضاربة والمساقاة .
والمزارعة والاجارة ، والعارية ، وحكم الغصب والشفعة والوديعة ، وإحياء
الموات ، والجمالة واللقطة ، والوقف والهبة والعطية ، والهدية ، والوصايا
والفرائض .. فما معنى هذه الأنواع ؟

أليست تشريعات إلهية ، ومبادئ وقوانين أخذت مكانها في ديننا صيانة
للاقتصاد الاسلامي ، وحفاظاً على حق كل صاحب حق . . فأين تلك
التشريعات من القوانين البشرية والنظريات الحديثة القابلة للخطأ والصواب
لأنه الإسلام الذي كفل لكل فرد حقه في الحياة .

دعوة الإسلام إلى أمن النفس البشرية

في التربية الإسلامية علاج أصيل ثابت ، وعلاج آخر مباشر يطلب من الإنسان المسلم أن يصحبه . كلما استفن موقف يشير مثل هذه الآفات والذائل .. وأساس هذه الآفات - هو الغضب .

أما العلاج الأصيل الثابت - فهو مطلوب قبل أن تبرز تلك الآفات والإنسان المسلم ، مطالب باستحضار هذا العلاج ، واستمراره وتمثل مقتضياته ..

والعلاج الأصيل هو التحلي بمكارم الأخلاق ومقاومة ما في النفس من أسباب الغضب .

فالعلاج كل علة ، إنما يكون بحسم مادتها ، وإزالة أسبابها . والأسباب التي تحمل الإنسان على الغضب كثيرة جماعها - الأخلاق السيئة ، والعادات المذمومة ، التي يجب على المسلم أن يتحاشاها وأن يبتعد عنها ، منها - الغرور والزهو ، فالإنسان المغرور أو المزهو بنفسه، يرى نفسه فوق الناس، ويحمله زهوه على التحامل على الناس والنيل منهم ، بسبب أبسط الأمور . ومن ذلك المماراة والمزاح والهزل ، وشدة الحرص على المال والجاه، وغير ذلك من الأسباب .

وكثير من الناس يسمى الغضب شجاعة ورجولة ، وعزة نفس وكرامة ومحافظة على الشخصية ، وهذا خطأ فاحش يحاول به البعض تبرير غضبهم ، إذ أن الإنسان بطبيعته البشرية ، حين يتجاهل حقيقة نفسه ويتغاضى عن هيوبه ، لا يحاول أن ينظر إلى أخطائه ، ولا يحاول أن يفكر فيها إلا بالقدر

الذى ينتصر فيه لنفسه أو الذى يأخذ فيه أكبر قسطن من دوافعه النفسية
منها كانت خطأ .

وربما لو تريت في شأنه ، وتمهل في تفكيره ، وراجع نفسه يحس بالخطأ
ويستشعر نتيجة سرعتة وعجلته وغبته وهذا يحدث لدى كثير من الناس .

وأما النوع الثانى لعلاج النفس البشرية من الغضب ، فهو العلاج المباشر
الذى يكون بعد هيجان الغضب وحدوثه - فذلك يتدبر مادعاً إليه الإسلام
من التخلق بالتسامح والرفق وكظم الغيظ . . بالخوف من مؤاخذه الله
وعقوبته . . وبالحذر من عاقبة العداوة ، ونهاية الانتقام . . ومحاولة التمسك
فيما يدعو إلى الانتقام فيمنعه ويكظم غيظه إلى غير ذلك من الأمور .

وفي الإسلام أسمى الطرق التربوية وأجملها في علاج النفس البشرية ،
وإطفاؤه جذوة الغضب التى تشتعل فيها .

وكان للإسلام بذلك فضل سبق على سائر الطرق التربوية الحديثة .

إنه يدعو إلى تغير الموقف الذى عليه الإنسان ، والحال التى اشتعل
الغضب معها فيغيرها ، ويريح أعضائه ، ويهوها للهدوء والسكينة وللحلم
والطمأنينة ، فإذا كان قائماً فليجلس فإذا لم يذهب غضبه فعليه أن يضطجع
عن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال .

(إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب
فليضطجع) رواه أبو داود .

وإذا كان هذا النوع من العلاج تغييراً ، للموقف ، وإعطاء الجسم
والأعضاء قسناً من الهدوء والسكينة ، والراحة والطمأنينة ، فإن هناك نوعاً
آخر ترشد إليه السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .
(م ٥ - الأمن)

عن أبي وائل القاض قال : دخلنا على عروة بن محمد السعدي فكلّمه رجل .
فأغضبه ، فقام فتوضأ فقال : حدثني أبي عن جدي عطية رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ :

(إن الغضب من الشيطان ، وأن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار
بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) رواه أبو داود .

* وأما النوع الثالث من العلاج فذلك بالبعد عن الشيطان ومحاولة
التخلص من هواجسه ، ونزغاته ، وبالتوجه إلى الله تعالى والاستعاذة به
من الشيطان .

عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال : استب رجلان عند النبي ﷺ
لجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه . وتفتخ أوداجه فنظر إليه النبي ﷺ
فقال : — أني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذاك . — أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم .

فقام إلى الرجل رجل من سمع النبي ﷺ فقال : هل تدري ما قاله ..
رسول الله ﷺ أنفا ؟ قال : لا ، قال . أني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذاك ..
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

فقال له الرجل : أجنونا تراني ؟ رواه البخاري ومسلم .

والناس في — غضبهم — يتفاوتون وليسوا سواء في سرعة الغضب أو
بطئه ، وإنما منهم من يكون سريع الغضب سريع الرجوع ، ومنهم من يكون
بطيئاً في غضبه سريعاً في رجوعه ، وهكذا ..

وخير الناس من كان بطيء الغضب سريع النسيء . وشر الناس من كان
سريع الغضب بطيء النسيء .

ويوضح أنواع الناس حيال الغضب .. الحديث الشريف الآتي :

« ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات ، ألا وإن منهم البطيء الغضب السريع الفى . ومنهم سريع الغضب سريع الفى . فذلك بتلك ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفى . ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفى . ألا وإن الغضب جمة في قلب ابن آدم ، أمارأيت حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحسن بشيء من ذلك فليصدق بالأرض . رواه الترمذى وقال حديث حسن . إن الغضب سبب كل شر ، وأداة كل ظلم وعدوان ، والتغلب على نزعات النفس ، ونزعات الشيطان ، بتملك النفس ، والبعد عن الغضب أكبر علاج للنفس البشرية ، ولذا نصح النبي ﷺ به كثيرة ومؤكد .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصنى ، قال : لا تغضب - فردد مرارا ، قال : لا تغضب - رواه البخارى .

إنها نصيحة موجزة ، وعبارة مختصرة ، ولكنها في غاية القوة والبلاغة ، لأنها تحذر من آفة الآفات ، ومن سبب كل انفعال وشر ، وهو أن الغضب يجمع الشر كله ، حين يفكر الإنسان فيه ، وفيما ينتج عنه .

عن حميد بن عبد الرحمن ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رجل يا رسول الله أوصنى قال : لا تغضب قال ففكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله . رواه أحمد .

إن منع الغضب ، وكظم الغيظ ، من سمات المتقين ، الذين يتأدبون بأدب الإسلام . قال تعالى : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) .

إن مجالس الغضب والانفعال هي مراتع الشيطان ، وأن مجالس العفو والتسامح ، والحلم والسكينة هي مقاعد الخير كله ، ولقد وعى سلفنا خطورة

الغضب . وأدركوا آثار التسامح والصبر والحلم ، فكانوا أمثلة طيبة في كل سلوك خير كريم .

وكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بوجههم بين كل آونة وأخرى بالأدب الرفيع ، والقيم المثلى . عن ابن المسيب رضى الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ جالس ، ومعه أصحابه ، وقع رجل بأبي بكر رضى الله عنه ، فأذاه ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم أذاه ثانية فصمت عنه أبو بكر ، ثم أذاه الثالثة فانتصر أبو بكر ، فقام رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر رضى الله عنه أوجدت على يارَسُولَ اللَّهِ ؟

فقال رسول الله ﷺ : نزل ملك من السماء يكذب بما قال لك ، فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان . رواه أبو داود .

هكذا عاجل الإسلام النفس البشرية ما يقربها من الآفات والذائل وقربها وهدبها إلى طريق الخير والرشاد والسودد . ومن ضعف نفس ، مبعثه الضغب ، إن الإنسان المسلم يجب أن يكون صورة حية للمثل النبيلة ، والقيم الفاضلة ، وأن يكون بمنأى عن تلك الآفات والشرور ، التي تمزق أو اضر الأخوة وتقطع وشائج الود بين الناس .

وباتباع هذه التعاليم العالية يرتقى الأفراد والجماعات إلى مستوى من الحياة الإنسانية الفاضلة .

التربية الإسلامية أمن للنفس البشرية

النفس البشرية لها دوافعها وغرائزها ، وميوها ونزعاتها .. وهي بحكم طبيعتها تنزع إلى ما تطمح إليه ، وتتطلع إلى ما لم تصل إليه متمنية الوصول إليه ، وتحقيق ما تصبوا إليه من آمال .

بيد أن بعض ما تمهوا إليه ، قد يكون بعيداً عنها ، وليس لها فيه من نصيب .. أو أن يكون الله تعالى قد وهب نفوساً غيرها قدرات خاصة ومواهب معينة ، تنحقق معها هذه الآمال ولا تتحقق مع تلك النفس وعندئذ يكون التعلق بما عند الناس .. أو محاولة محاكاةهم والوصول إلى ما وصلوا إليه يكون ضرباً من التعب النفسى الذى لا طائل وراءه إلا ما يورثه من الأحقاد والمتاعب .

ولهذا كان التوجيه القرآنى إلى عدم التمنى لما فضل الله به بعض الناس على بعض ، قال الله تعالى : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً) سورة النساء ٣٢ .

وقد نزلت هذه الآية الكريمة — كما روى الإمام أحمد — عندما سألت أم سلمة رسول الله ﷺ ، وقالت : يا رسول الله يغزو الرجال ولا يغزو . ولنا نصف الميراث . فأمر الله : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض)

إن التمنى لا يجدى شيئاً ، بل قد يجر من المفاسد والأحقاد ما لا تحمد عقباه ..

وأن الله سبحانه وتعالى ، يحب من عباده أن يقبلوا عليه وأن يسألوه ،
عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (سلوا الله من فضله ،
فإن الله يحب أن يسأل وأن أفضل العبادة إنتظار الفرج) رواه الترمذى .
وقال السدى فى الآية : أن رجالا قالوا : إنا نريد أن يكون لنا من الأجر
الضعف على أجر النساء ، كما لنا فى السهام سهمان وقالت النساء : إنا نريد أن
يكون لنا مثل أجر الشهداء ، فإنا لا نستطيع أن نقاتل . ولو كتب علينا
القتال لقاتلنا . فأبى الله ذلك . ولكن قال لهم سلونى من فضلى ، قال نيس
بعرض الدنيا .

وقد يتطامع بعض الناس إلى من قل عليه فى الرزق أو فى الخلق
وهو تطامع لا جدوى فيه ، لأن واهب ذلك هو الله سبحانه وتعالى وليس
الإنسان أن يجلب لنفسه شيئاً من ذلك .

ولكن علاج مثل هذه الحالة النفسية ، يكون بالتطامع إلى من هو أسفل
من الإنسان وأقل .

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (إذا نظر أحدكم إلى من فضل
عليه فى المال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه من فضل عليه)
رواه البخارى .

هذا هو العلاج الناجع للنفس البشرية وتطلعاتها التى لا طائل تحتها ،
والتي لاتورث إلا الحسرة والندم فى القلوب .

أن رسول الله ﷺ يعلم أمته ويوجهها التوجيه السديد الذى به ترضى
وتتغنم ، ولا تعب وتنصب . ولا تحسر وتندم .

فإن الإنسان المسلم أن ينظر بعين الاعتبار إلى النعم الإلهية المحيطة

بأن الإنسان ، وأن ينظر في نفس الوقت إلى ما فضل . هو به على غيره ، لا إلى
 بما فضل غيره به عليه .

فإذا نظر الإنسان مثلا إلى من فضل عليه في المال والخلق بأن نظر إلى
 الإنسان غنى بينما هو فقير . أو نظر إلى إنسان أغنى منه أو من كان أفضل منه
 في الخلق . كالصورة والمنظر والشكل أو في الخلق كالأبناء مثلا ، فالحديث
 يحتمل المعنيين ، فيحتمل أن يدخل في ذلك الأولاد والآباء وكل ما يتعلق
 بزينة الحياة الدنيا .

فقد يكون لإنسان كثير من الأولاد ، واغیره القليل .. فينظر إلى من
 هو أقل منه . وقد ينظر من عنده الذرية أنثى فحسب إلى من عنده الذكور
 من الأبناء .. فليتنظر إلى من كان عقبا لا ذكور له ولا إناث ، فإنه حينئذ
 يرى أن نفسه أكثر من غيره .

وقد ينظر الإنسان العقيم إلى من له ذرية ، فيورث ذلك في نفسه الحقد
 أو الحسرة والندم . ولكنه حين ينظر إلى غيره من هو أقل منه بأن يكون
 لا مال له ولا ولد .. يرى أنه أحسن حالا من غيره .

وقد ينظر من لا مال له ولا ولد إلى من فضل عليه .. فيورث ذلك
 الحسرة في نفسه . ولكن حين ينظر إلى غيره من لا مال له ولا ولد ولا عافية
 ولا صحة يرى أنه أحسن حالا من ذلك لأنه يتمتع بعافية وصحة ، وهى نعمة
 كبيرة . وهكذا إذا نظر الإنسان إلى من هو أعلى منه وأفضل عليه تعب
 وتحسر .. وإذا نظر إلى من هو دونه وأقل منه استراح وشكر ربه ،
 ألا ينتقص نعمة من نعم الله .

وفي رواية الإمام مسلم ما يوضح السبب والعلة في النظر إلى من هو

أسفل منه وأقل (فهو أجدر أن لا تردوا نعمة الله عليكم) أى هو حقيق .
بعدم الازدراء .

وقال ابن بطال : هذا الحديث جامع لمعاني الخير ، لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها ، إلا وجد من هو فوقه فمضى طلبت نفسه للحاق به يستقص حاله ، فيكون أبدأ في زيادة تقربه من ربه . ولا يكون على حال خسيصة من الدنيا . إلا وجد أهلها من هو أخس حالاً منه ، فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت اليه دون كثير من فضل عليه بذلك من غير أمر أوجبه ، فيلزم نفسه الشكر . فيعظم اغتباطه بذلك في سعادة .

وقال بعض العلماء : في هذا الحديث دواء الداء ، لأن الشخص اذا نظر الى من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسداً ، ودوامه أن ينظر الى من هو أسفل منه . ليكون ذلك داعياً الى الشكر .

ومما تجدر الإشارة اليه أن التوجيه النبوى الوارد في الحديث وهو النظر الى من هو أسفل من الانسان ، انما هو مخصوص في أمور الحياة الدنيا . وليس عاماً في أمور الدين والعبادات والطاعات وصنائع المعروف ، فتلک الأمور يستحب أن ينظر الانسان فيها الى من هو أكثر منه ليزداد طاعة الله وعبادة وتقرباً .

ففي أمور الطاعة والعبادة تشرع القدوة والأسوة والتنافس في الطاعة محمود ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

وفيما رواه البخارى — بسنده — عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبى ﷺ :

(لا حسد إلا في اثنين رجل أتاه الله مالاً فبسطه على هامته في الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) .

وقد توقع في نسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه قال :
(خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا من نظر في دنياه إلى من
هو دونه ، فحمد الله على ما فضله به عليه . ومن نظر في دينه إلى من هو
فرقه فاقتدى به) .

وأما الذى ينظر إلى من هو فوقه في دنياه فيأسف ويتحسر ويندم على
ما فاتته ، فإنه لا يكتب شاكرا ولا صابرا . وبمثل هذه التربية الرشيدة
السديدة ، أخذ الإسلام أتباعه . وعلم رسول الله أصحابه فتخرج من
الوعيل الأول نماذج عالية في الشكر والصبر ، وفي عزة النفس وقوتها ..
وأن التربية الإسلامية للنفس البشرية ، تأخذ بها إلى مراقى الفلاح
والسداد والرشد .

وأن في البعد عن التربية الإسلامية ضياع للنفس في متاهات الحياة
الدنيا دون جدوى .

أما تربية الإسلام للأفراد والجماعات ، فإنها تأخذ بأيديهم إلى حياة الرضا
والطمأنينة . والراحة والسكينة وفي ظلها يستشعر الإنسان المسلم نعم الله
عليه ، فيؤدى شكرها .. فيزيده الله عليها من فضله وإحسانه وبره ، كما قال
الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) .

وجاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكى إليه ضيقا ، فقال له يونس :
أيسرك يبصرك هذا الذى تبصر به مائة ألف . قال : لا ، قال : فسمعك
الذى تسمع به يسرك به مائة ألف . قال : لا ، قال : فؤادك الذى تعقل به .
قال : لا ، قال : فيدرك يسرك بهما مائة ألف . قال : لا ، قال : فرجلاك .
قال : لا ، قال : فذكره نعم الله تعالى عليه ثم أقبل عليه فقال : أرى لك
مبنى ألوفا وأنت تشكو الحاجة .

وتمشياً مع الهدى الإلهي ، وسيراً على طريق التربية الإسلامية الأصيلة
يعلم الإنسان المسلم إيمانه بما أوجبه الله ورضاه بما قسمه ، وشكركه على
نعمه مردداً ما قاله الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

(اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك
فلك الحمد ولك الشكر) . رواه أبو داود .

محافظة الإسلام على حرمة الأعراض

الإسلام دين الطهر والعفاف، صان الأعراض كما صان الأنفس والأموال ودعا إلى حمايتها والدفاع عنها . . وأكد الإسلام جرمات المسلمين وفي الحديث : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

وحماية للأعراض ، وصيانة لها ، كفل الإسلام لها حقوقا شرعية تنسق وفق ما أحله الله من علاقات نقية طاهرة تتميز بالثبوت والاستقرار وتحكم بحقوق وواجبات تشرق في ظلها المودة والرحمة وتنبثق من خلالها المشاعر الإنسانية الوفية والمعاملات النظيفة الراقية ونفى الإسلام عن المجتمع الاسلامي كل رذيلة من الرذائل وميز عباده ووصفهم بصفات تتفق مع عقيدتهم الصحيحة وإيمانهم الصادق . وبين أنهم موحدون لا يدعون مع الله إلها آخر ومحافظون على حرمة الأنفس فلا يقتلون ومحافظون على الأعراض فلا يزنون إلى غير ذلك من الصفات .

قال الله تعالى : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) .

وحرم الاسلام الاقتراب من الزنا ، ذلك لأنه من الكبائر والفواحش قال الله تعالى : « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومساء سييلا ، الإسراء (٣٢) .

الاعتداء على الأعراض :

وجريمة الاعتداء على الأعراض من أخطر الجرائم وأكبر الكبائر

إذا تفشت في بيئة نشرت التحلل والاباحية وولدت أخطر الأمراض بين مرتكبيها ، وأدت إلى غيرها من الجرائم كما أن فيها إهدار لماء الحياة ولما دلتها في غير موضعها المشروع وطريقها الحلال .

كما ينشأ عن هذه الجريمة تشرد وضياع لمن جاء من الأبناء عن طريقها واختلاط للأنسب وفقدان للحياة العزيزة الطيبة النظيفة المحترمة .

وهذه الجريمة المنكرة تعتبر من أشد الآفات الاجتماعية خطورة فيما يتصل بالناحية الأخلاقية والناحية الاجتماعية ، ففيها محاربة للحياة الزوجية السليمة ومحاربة للعفة والفضيلة وعزوف عن الزواج وهي ظاهرة تحليلية وفعلة شنعاء لا تظهر إلا في البيئة البعيدة عن روح الاسلام والتي لا تخشى الله وعذابه وهي أكثر ما تكون مصاحبة لظاهرة العزوف عن الزواج وذلك لأن البعض حين يرى قضاء شهوته بهذه الوسيلة يستهين بشأن الزواج ويرى فيه من الأعباء والمسؤوليات ما يمكن أن ينأى بنفسه عنها ويريد حياته منها .

وبتلك النظرة الهابطة الرخيصة تصغر الأسر وتقل وتضعف وتتفكك ويضعف أبنائها جسمياً وعقلياً وخلقياً .

ولما كان الزنا والاعتداء على الأعراض له خطورته وله نتائج السيئة التي تودي بالآفراد والأسر ، وتهدم كيان البيوت وتقوض دعائم الحياة ، شرع الاسلام عقوبته القاسية لتكون أكبر رادع ومانع من الوقوع في هذه الجريمة فالزاني المحصن : يقتل رجماً بالحجارة والبكر يجلد مائة جلدة . . وتنزل به هذه العقوبة الرادعة على مرأى ومسمع من الناس ليكون في ذلك أشد الوسائل الرادعة وليكون عبرة لغيره ممن تسول له نفسه ارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة .

وينهى الله تعالى عن أن تسكون هناك رافة أو عفاف على انسان حزين

تنزل به العقوبة حتى لا تتعطل الحدود أو يخفف الحد . قال الله تعالى :
(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة
في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من
المؤمنين) (النور ٢)

ومن الجرائم التي ترتكب اعتداء على الأعراض (القذف) فمن ذف
رجلا محصنا أو امرأة محصنة واتهم أحدهما بارتكاب جريمة الزنا ولم يقيم
البينة والدليل المطلوب شرعا فإنه يجلد ثمانين جلدة وتسقط شهادته وهما
عقوبتان إثنان لاعقوبة واحدة فالأولى : وهي الجلد عقوبة مادية توقع على
جسده ، والثانية : وهي إسقاط شهادته عقوبة معنوية أدبية توقع على كرامته
وتظل دائمة . قال تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) .
(النور ٤) .

وللقاذف من الوعيد الشديد ما يستحقه مما قرره الإسلام في الكتاب
والسنة فالذين يقدفون المحصنات الغافلات يرتكبون أكبر الكبائر وتحل
عليهم لعنة الله في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . . يقول الله تعالى :
(إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة
ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا
يعملون يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين)
(النور ٢٣ - ٢٥) .

وقال سبحانه وتعالى : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا
لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (النور ١٩) .
وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات من السبع الموبقات التي نهى عنها
الإسلام وحذر منها الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأمر المسلمين باجتنابها .

عن أبي هريرة رضى الله عنه : عن النبي ﷺ قال : (اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والنزوى يوم الزحف ، وقذف المحصنات : المؤمنات الغافلات) رواه البخارى .

المحصنات : اسم مفعول ، أى التى أحصنهن الله وحفظهن عن الزنا والمراد بهن العفيفات وأما (الغافلات) فالمراد بهن الغافلات عن الفواحش وما قدفن به .

وفىما رواه ابن أبى حاتم . عن عائشة رضى الله عنها - أن النبي ﷺ قال لأصحابه أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم) ثم قرأ رسول الله ﷺ (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) الأحزاب (٥٨) .

ومن الذنوب التى تمثل اعتداء صارخا على حرمان الناس وأعراضهم (السخرية) و (اللعن) و (التنازع بالألقاب) و (سوء الظن) و (التجسس) و (الغيبة) و (النيمة) وقد نهى الله تعالى عن هذه الأمور كلها ، وحذر منها ، ونادى المؤمنين أن يحذروها ناداهم بوصف الإيمان الذى يتنافى مع تلك الآفات ولا يستقيم مع تلك الرذائل فقال سبحانه :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلهووا أنفسكم ولا تتنازوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أحبب أحدهم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) (١١ - ١٢ سورة الحجرات) ،

فلا يجوز لإنسان أن يسخر من إنسان ولا يحل له أن يستهزئ بأخيه
أو يسخر منه لآفة في بدنه أو نخافة في بعض أعضائه أو قلة ماله أو غير ذلك
من الأمور وقد روى أن عبد الله بن مسعود انكشفت ساقه وكانت دقيقة
هزيلة، فضحك منها الحاضرون فقال النبي ﷺ :

« أتضحكون من دقة ساقه ، والذي نفسى بيده لها أثقل في الميزان من
جبل أحد ، رواه مسلم .

وتأكيدا لحرمة الأعراض ، والحفاظ على كرامة الإنسان وعدم
الاعتداء عليه بالتجسس أو التطلع إلى أسرارهِ أو بيته جاء في الحديث المتفق
عليه : (من أطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفتشوا عينه ،
وقال صلوات الله وسلامه عليه : (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان
إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه
يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله) ، رواه
الترمذي .

الوحدة في الاسلام طريق للأمن العالمى

الوحدة آثارها وفعاليتها ومنزلتها وقوتها ، فهي من أهم ركائز التضامن الاسلامى الذى تنشده الأقطار الاسلامية عبر التاريخ ، فيوم أن يتحد العالم الاسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها تحت داية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يوم أن تنعم المجتمعات والشعوب بالأمن والاستقرار والسعادة والرفاهية ، فلا يهددها عدو ولا يحدق بها خطر ، ولا يتآمر عليها الباطل مهما كان مدججا بالأسلحة ولا يتسرب إلى حماها غزو فسكرى ، ولا تيار من التيارات المادية ولا تحلل خلقى ، وذلك لأن الوحدة سياج منيع يصون حماها من كل دخيل ، ويحفظ عليها أمنها واستقرارها ،

بل ولا خوف على غيرها من الأمم لأن لديها من إيمانها ما يقرر العدل فى الأرض ويحقق السلام والإصلاح ويشيع فى جوانب الحياة كل معروف ويظهرها من كل منكر ويومها بين الناس فى ظلال الإيمان أحبه آمنين . قال الله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .

ويقرر القرآن الكريم أن أهل الإيمان والحق حين يسكن الله لهم فى الأرض ينصرون دين الله ويرفعون راية العدل الالهى . ويققيمون شعائر الدين وأحكامه ويؤدون الامانة الالهية على أكمل وجه أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر قال الله تعالى : (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

وقد أكد الله تعالى روح هذه الوحدة وجوهر هذا التضامن الاسلامى فى حب بين المؤمنين وموالاته ورغبة فى الخير والإصلاح فقال : « والمؤمنون

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرزون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرهم الله
إن الله عزيز حكيم .

والوحدة أساس كل خير في دنيا الناس وآخرتهم والفرقة أخطر الآفات
التي تفضي على سعادة المجتمعات والشعوب وترديهم في مهاوى التهلكة
وتجرهم إلى وحل المعصية ، تظل تفرقهم شيئا حتى يجعلهم ينفصلون عن الدين
قال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم
إلى الله ثم إليهم بما كانوا يعملون » .

بل إن العلم نفسه وهو من أهم دعائم الأمم ، ولكنه حين لا تتمحض
فيه النية لله تعالى ، ويخلو من روح الإخلاص تنسرب إلى ميدانه آفات
ورذائل فتتميل به عينة أو يسرة فتكون النتيجة هي الاختلاف من جراء
البغى والحسد والعناد والتعصب .

فدعوة الوحدة إذا لابد لها من فكر صاف مستنير لا تشوبه آفات
الفرقة والاختلاف ولذا نجد القرآن الكريم ينبه إلى هذا الخطر الدائم من
جفاء البغى والعصبية .

ويدعو إلى أساس الوحدة الأصيلة القائمة على أساس من التوحيد
الخالص والتمسك بهذا الدين الحنيف قال سبحانه : « إن الدين عند الله
الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب » .

أساس الوحدة :

وكما بين الله أن أساس الفرقة والاختلاف يكون من التعصب والبغى
والحسد والعناد وما إلى ذلك فقد بين أساس الوحدة التي يدعو إليها

الاسلام . وذلك هو الدين والاعتصام بحبل الله ففي ذلك القوة والخير والسعد والفوز في الدنيا والآخرة .

ولطالما تعثرت خطى البشرية بأشواك الحياة الجافة القاسية واضطربت في جو ملبد خائف فيبينما كانت تعافى من ظلام دامس ، واضطراب في شتى نواحي الحياة ، كانت وطأة الصراع المادى وكان بطش القوى بالضعيف ، وتطاول الغنى على الفقير حتى جاء الاسلام بظلاله الوارفة وقوانينه العادلة وكتابه الحق ورسوله البشير النذير الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور فهدى الناس من ضلالة ووحدهم من فرقة وخلصهم من أثقال وأغلال وهداهم إلى صراط مستقيم . .

يقول الله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهتدى به الله من . . اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

لقد دعم الإسلام أوامر الوحدة وذكر الناس بفضل الله عليهم بكل ذلك ، وحذر المؤمنين أن يطيعوا دعاة الفرقة والاختلاف . وذكرهم ما كان عليه الأوس والخزرج قديماً حين دبت العداوة في صفوفهم وأنشبت بينهم الحروب المتطاولة حتى جاء الاسلام فأطفأ نار الفتنة وأخمد شرها وجمعهم على كلمة الحق وألف بينهم رسول الله ﷺ وتدعياً لأصول تلك الوحدة وترسيخاً لبنائها كلف الله تعالى هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلتصافاً للدين وإقامة لوحده ودفعاً لآفات الشر والفساد التى تثار حول حماه أو ترتكب في الوطن الإسلامى .

ويضرب القرآن الكريم المثل بمن قبلنا حين اختلفوا بعد أن جاءتهم البينات فكان لهم الوعيد الشديد .

عن تلك الملاح كلها تحدث القرآن الكريم حديثاً شافياً مادياً لآتى
هى أقوم .

فقال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقاً من الذين أرتوا
الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تنلى عليكم آيات
الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله
جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك
يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم .
آل عمران ١٠٢ - ١٠٥ .

وقد وجه الرسول ﷺ أمته إلى أساس الوحدة وهو الاعتصام بحبل
الله . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى
يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به
شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم،
ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال . . رواه مسلم .

وهكذا حمل لنا الحديث التحذير من الفرقة والاختلاف ، ولا تفرقوا ،
وجاء هذا النهى بعد الأمر بالاعتصام بحبل الله لبيان أن من اعتصم بحبل الله
فهو بعيد عن التنازع ، بعيد عن الفرقة أما الاعراض عنه والتماس الاعتصام
بغيره ففقيه الضلال .

ومن التمس الهدى في غيره أضله الله وقد أشار القرآن الكريم إلى تأكيد

هذا المعنى في قوله تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا رسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » .

وقال تعالى : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا
أمرهم بينهم ذبرا كل حزب بما لديهم فرحون » .

التشريع الإسلامى والوحدة

والناظر إلى التشريع المحكم يحمده قد دعا المسلمين إلى الوحدة من طريق
عملى وتطبيقى كما دعاها في نداءاته ووصاياه من خلال الهدى القرآنى والسنة
المشرقة لقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه معالم التضامن الإسلامى
ووجد بين المسلمين في أول أساس من أسس المجتمع الإسلامى قبل وبعد
الهجرة حيث آخى بين المهاجرين والأنصار وأبرم وثيقة هذا التضامن في
صورة من الوحدة والأخوة والتعاون بشكل لا تعرف الدنيا مثيلا له .
وأسمى الرسول ﷺ دستور الحياة الذى نلتقى عنده الأمة الإسلامية
وتجتمع عليه ، ويصبح كل المؤمنين كالجسد الواحد يقول صلوات الله وسلامه
عليه : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى
منه عضو تداعى له سائر الجسد » ومسلم .

وتنضى تشريعات الاسلام في غرس أصول الوحدة وتقوية روح
التضامن بين المسلمين في الصلاة وفي الصوم وفي الزكاة وفي الحج فصلاة
الجماعة لها من المثوبة والأجر ما يزيد على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة
أو خمس وعشرين درجة وفي صلاة الجمعة إجماع أسبوعى كبير وفي صلاة
العيدين إجماع أكبر في كل عام ، ثم في فريضة الحج إجماع أكبر لأعظم
عدد ممكن من مختلف الأقطار الإسلامية والبلاد من شتى الألوان
والأجناس .

وفي فريضة الصيام غرس لمعانى الوحدة في وقت واحد يمسك المسلمون عن الطعام والشراب. وفي وقت واحد يفطرون ، وفي الزكاة تكافل إجتماعى وترأحم وتواد بين الغنى والفقير وتقريب بين الناس وتوحيد بين المشاعر على الحب والألفة والتعاون .

وإلى جانب دعوة الاسلام إلى الوحدة فإنه يوجه المسلمين إلى التضافر وإلى التعاون والنصرة ويحذرهم من أسباب النخاذل والتهاون . قال ﷺ : ما من امرئ يتخذ لمرء مسلما في موضع تفتك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا أخذله الله في موضع يجب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه ويتفتك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يجب فيه نصرته ، رواه أبو داود .

وحماية لأبعاد هذه الوحدة ناهض الاسلام أولئك المرجفين المثبطين الذين يخرجون على الطاعة ويفارقون الجماعة فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « من خرج على الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية » رواه البخارى .

ويعلم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعده وبراهته من كل من يضرب صفوف الأمة ولا يفي بعده . فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي بعهد ذى عهدا فليس منى وأست منه » رواه مسلم .

هذا وأن من خالف الرسول ﷺ فيما جاء به واتبع غير ما عليه المؤمنون من العقيدة الصحيحة والعمل الصالح يدعه الله ويتخلى عنه ويؤليه ما تولى ذلك في دنياه وأما في آخرته فيصله جهنم وساءت مصيرا . قال الله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

واقعد داب الاستعمار والصهيونية والغزو الصليبي على سياسة التفرق ومحاولة تمزيق الوحدة لأن في الوحدة تهديداً وخطراً على وجود هذا المستعمر وعلى وجود الصهيونية ولنا في تاريخنا العبرة التي مازالت ملء السمع والبصر كيف استطاع أعداء الوحدة الإسلامية تمزيق تكتل الأمة وتضامنها ثم كان السطو والنهب فيهم بعد ذلك .

وإذا كان الأساس الذي تقوم عليه الوحدة الاعتصام بمجمل الله والانضواء تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله فإن الله سبحانه يبين أن قيام هذه الوحدة هو الذي يتسق من الحلقة التي خلق الله الإنسان عليها فالناس جميعاً أمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم وألوانهم ويلتزمون إلى نهاية واحدة بقاء ربهم وإن اختلفوا ثواباً وعقاباً قال الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيباً » .

وقيام هذه الوحدة هو الذي يتسق — أيضاً — مع الفطرة الإلهية الواحدة وهي التي فطر الله تعالى جميع الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وفيما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء — أي تامة الأعضاء — هل تحسبون فيها من جدعاء ؟ أي مقطوعة الأذن أو الأنف أو الأطراف . ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه : « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » ، وبهذا يتبين لنا أن جميع أنساب الناس وأجناسهم تنتمي إلى أصل واحد ، وهنا تبرز أهمية التعارف وضرورة اتصال الناس بعضهم ببعض .. قال تعالى : « يا أيها

الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

ويعمق الإسلام مفهوم الوحدة بأقوى رباط ينبغي ألا ينساه أحد ذلك هو رباط العقيدة الصحيحة التي ينتظم تحت لوائها كل المؤمنين مهما تباعدت الأقطار . واختلفت الأشكال ورباط الانتماء إلى أب واحد وإلى أم واحدة . قال ﷺ : « أيها الناس إن ربكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحر على أسود ولا أسود على أحر إلا بالتقوى » . رواه أحمد في سننه .

عقبات في طريق الوحدة

واليوم إذ ننظر للمجتمعات البشرية فنرى الكثير منها يعج بتيارات مختلفة تتبع غير سبيل المؤمنين من وجودية وشيوعية ، وماسونية ، وقد يانمية ، وبهائية وما إلى ذلك . . ونتيجة لتلك التيارات وعاقبة من يقبها قد بينتها الآية الكريمة : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » . وكل هذه التيارات وما تنفثه من سموم فكرية ومؤامرات وأباطيل وماتدفع به من موجات تحليلية في المحيط الإسلامي ، بغياً وعدواناً وتخطيطاً منظماً على مدى بعيد لا تضعاف شوكة المسلمين ومحاولة فصلهم عن بعض ليتحقق هدف الاستعمار وأمنية أعداء الاسلام .

فكيف إذا نواجه تلك التيارات ونلتصر عليها . . وفي إيجاز حكيم يحيينا القرآن الكريم على هذا بأن نستجيب لله وللرسول ، ونسير على هدى الكتاب والسنة وأن نتق الوقوع في الفتن .

إنهما جانبان : الأول عملي تطبيقي : يتمثل في الاجابة لله وللرسول إذا دعانا لما يحيينا .

والثاني وقائى : وهو أن نتقى الوقوع فى الفتن ونصون الفرد والجماعة والأمم والشعوب من الوقوع فيها أو الانحراف فى تياراتها ، وحتى يكون لدينا يقين مطلق بنتيجة ذلك ضرب القرآن الكريم لنا المثل وأضحاً وبين الطريق إلى القوة بعد الضعف والكثرة بعد القلة والأمن بعد الخوف والنصر الكامل الشامل والرخاء والرزق الواسع فقال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب وأذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات اعلمكم تشكرون ، الأنفال ٢٤ - ٢٦ . ووضح القرآن الكريم أن إئتلاف قلوب المؤمنين ووحدهم من أساليب النصر التى أيد الله بها رسوله عليه الصلاة والسلام هذا الإئتلاف الذى أصبحوا به يداً واحدة وقضى على ما كان بينهم فى الجاهلية من التعصب والتنافر وربط القرآن الكريم سر هذه الوحدة والآلفة بالعقيدة الصحيحة والإيمان العميق بالله ، وبغزو هذا التأليف بين القلوب إلى الله تعالى فهو حسبهم مهما مكر الأعداء أو حاولوا الخداع فالتة من ورائهم محيط .

هذا هو القانون الإلهى الذى لا يتخلف بالنسبة للسلف وبالنسبة لمن بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال سبحانه .. وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم واسكن الله ألف بين قلوبهم ، إنه عزيز حكيم .

الآمن الاجتماعى فى الإسلام

ونظرية : التكافل

عنى الإسلام بالقيم الرفيعة والنظريات الرائدة التى تصوغ الحياة فى قالب من التواد والتعاطف ، وتوحد بين طاقات المسلمين فى إطار من التكافل الاجتماعى .

ولطالما ارتقت الحياة إلى أوج عزتها وكرامتها ، بفضل نظم الإسلام العميقة ونظراته الخائبة التى ترسمت الحياة معالمها وسارت فى ظلها ناضرة باهرة . فنهضت من كبوتها وصححت من غفوتها تتنسم عبير الرحمة والإنسانية والتعاون والإيثار ، بعد أن تعثرت خطاها على صخور الظلمة العاتية فى جو مبلد خائق ، تسوده البغضاء والقسوة والتناز والأثرة ، فلما جاء الإسلام نشر على البشرية ظلال العدل الوارفة وأشاع فى دنيا الناس روح الإخاء والآمن والرحمة .

وجمع الناس على قاعدة الإيمان الواحدة كأسرة واحدة ينتمون إلى أصل واحد ، لا غنى لأحدهم عن الآخر .

وفى الجوى الإسلامى العاطر وعلى أرض الإيمان الخصبة الرحبية ترعرعت أنبل الفضائل وأزكى السجايا وأحسن المسلم بحاجته إل أخيه ، وحاجة أخيه إليه ، وانطلق كل إنسان يلبي نداء أخيه الإنسان ويشعر بشعوره بدافع الواجب حيناً وبدافع الانسانية والمرورة أحياناً أخرى .

وتوالت نداءات الاسلام وتوجيهاته إلى تقوية الروح الجماعية وبعث القوة فيها وتعمدها لإثراء الحياة الجماعية بالآمل والعمل وبالحب والولاء فيناديهم القرآن الكريم بصفتهم الجماعية كجماعة إسلامية يصفهم كجمع لا كأفراد .

فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » .. وَيَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » . وَقَالَ تَعَالَى : « الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ » .. وَهَكَذَا .

أَسْئَلُ التَّكَاْفُلَ :

وَلَقَدْ أَرَسَى الْإِسْلَامَ لِلتَّكَاْفُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ أَصُولًا يَقُومُ عَلَيْهَا وَدَعَائِمُ . يَنْهَضُ بِهَا وَحَدَّرَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَخَالَفَتِهَا أَوْ مَحَاوِلَةِ الْبِنَاءِ عَلَى أَسَاسِ تَنَاقُضِهَا .

وَمِنْ هَذِهِ الْأَصُولِ قَاعِدَتَانِ بِيَمَا سَعَادَةُ الْبَشَرِيَّةِ دُنْيَا وَآخِرَةً وَهُمَا الْبِرُّ وَالتَّقْوَى « وَيَقَابِلُهُمَا » الْإِثْمُ وَالْعُدْوَانُ ، فَأَمَرَ بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَنَهَى عَنِ التَّعَاوُنِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ .

فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » .

وَإِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا التَّعَاوُنِ أَمَلًا لِسَائِرِ الْمَعَامَلَاتِ وَالْعِلَاقَاتِ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ فِي دَعْوَتِهِ لِلتَّكَاْفُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ أَحْرَصَ مَا يَكُونُ عَلَى تَرْسِيخِ تِلْكَ الْأَسَاسِ وَاسْتِمْرَارِ إِقَامَةِ الْحَيَاةِ عَلَيْهَا ، حَتَّى فِي الْقَوْلِ وَالْمَنَاجَاةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ فَخَذَرَ مِنَ التَّنَاجِيِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَأَمَرَ بِالتَّنَاجِيِ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى . فَقَالَ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى » .

وَقَدْ أَرَسَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ تِلْكَ الْأَصُولَ الْهَامَّةَ الَّتِي تَجْمَعُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى ، وَفَصَلَ مَضْمُونِ الْبِرِّ وَمَا يَسْتَمْدِفُهُ وَمَا يَحْتَوِيهِ مِنْ صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ وَالتَّعَاوُنِ فِي الْمَعَاشِرَةِ . وَتَهْدِيبِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي سَائِرِ الْمَعَامَلَاتِ وَالْعِلَاقَاتِ . قَالَ تَعَالَى : « لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَسَكُنَ الْبِرُّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ

الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء
وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المنتقون ، البقرة (٧٧) .

فصحة العقيدة: تتمثل فى الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين . والتعاون فى المعاشرة : بإيتاء المال - مع حبه - لأصحاب الحقوق
والمحتاجين ، وبتهذيب النفس فى سائر المعاملات والعلاقات بالصلاة والزكاة
والوفاء بالعهد والصبر فى كل الأصول وفى أوقات الشدائد وعند لقاء العدو .
ولقد جردت الآية الكريمة البر من المفهوم الشكلى ، الذى تبادر عند البعض .

كما صحح القرآن أيضاً مفهوم البر من معنى شكلى آخر ذلك أن بعض
الناس كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها بل من نقب وفرجة
وراء البيت وبعدون ذلك برأ فبين الله لهم أن ذلك ليس ببر وإنما البر أن
يتقى المسلم المحارم والشهوات . قال سبحانه : « وليس البر بأن تأتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من إتقى وتأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله
لعلكم تفلحون » .

وقد وجه الله تعالى عباده إلى طريق البر الذى هو كمال الخير وبه يناولون
بر الله ورحمته ورضاه وجنته وذلك ببذل ما يحبه الانسان من المال والنفس
والجاه فقال تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء
فلان الله به عليم » .

وأما الاثم فقد ميز الرسول ﷺ بينه وبين البر ووضح كلا منهما
بحيث يدركهما الانسان من نفسه وذلك فى قوله : « البر حسن الخلق والاثم
مأحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » وفيما رواه الامام أحمد -
بسنده - عن وابصة - قال : أتيت رسول الله ﷺ فقال : « جئت تسأل عن
البر والاثم قلت : نعم : قال : استفت قلبك البر ما أطمأنت إليه النفس

واطمأن إليه القلب ، والاثم ماحاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك . .

وإذا كان البر هو حسن الخلق وضده الاثم ، فما النتائج المترتبة على البر والتقوى أو على حسن الخلق ؟

نتائج البر والتقوى :

إذا نظرنا إلى البر الذى بدأ القرآن التعريف به بقول الله سبحانه «ولكن البر من آمن بالله..» وختم التعريف بقوله تعالى : « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » ووضحت السنة مدلوله في «حسن الخلق» إذا نظرنا إلى كل ذلك فإننا نجد نتائج عظيمة في الدنيا والآخرة . فالصدق مثلاً من حسن الخلق الذى يندرج في البر ونتيجته في الدنيا الطمأنينة طمأنينة الصادق إلى عمله ومعاملته مع الناس وطمأنينة الناس إليه ، وثقتهم فيه كما في الحديث . فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة .

والعفو مثلاً من البر أو حسن الخلق ومن نتائجه في الدنيا ما أخبر عنه القرآن الكريم «إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» . وأما في الآخرة فيقول الرسول ﷺ «إن المؤمن ليذكر بحسن خلقه درجة الصائم القائم» وسئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل للناس الجنة؟ فقال : تقوى الله وحسن الخلق .

مجالات التكافل :

وللتكافل الاجتماعى مجالات عديدة فمنها ما يكون بين الفرد ونفسه ومنها ما يكون بينه وبين أسرته وبينه وبين جيرانه ومنها ما يكون بينه وبين أخلائه ورفقائه في العمل أو بينه وبين المجتمع أو بين المجتمعات بعضها مع بعض وبين الأمم والشعوب .

أما بالنسبة لأول مجال للتكافل وهو ما يكون بين الفرد ونفسه فذلك بأن يأخذ الفرد حقوقه المشروعة دون إفراط أو تقريط قال تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال سبحانه : (وابغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وأن يعمل بما فيه الصلاح والنجاة لنفسه فلا يوردها موارد الضياع ولا يلقى بها إلى التهلكة كما قال الله سبحانه : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) .

وبهذا نرى أن الإسلام قد هياً للفرد ما يكفل مطالبه المادية وحظوظه الدنيوية من الحلال بالأكل والشرب في غير إسراف . كما هياً له ما فيه نجاة نفسه ووقايتها بحيث لا يعرضها للهلاك . كذلك هياً الإسلام للإنسان ما فيه سعادته الآخروية ونجاته من عذاب الله حيث وضح لسكل نفس طريق الفجور لتتجاشاه وطريق التقوى لتتهدى بهداه فقال : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) .

وأما المجال الثاني : وهو ما يتصل بالأسرة فقد وصى الله بالوالدين بعد الأمر بعبادته وحده فقال : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما يرباني صغيرا) .

وكما وصى الإسلام برعاية الزوجة والأبناء وذوى الأرحام بصفة عامة فقال : (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) . وقال تعالى : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) . وفى الحديث يقول الله تعالى : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ، أى قطعته .

ومن التكافل فى مجال الأسرة ما شرعه الإسلام من الارث كما فى قوله

تعالى : (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) الآيات . وقد شرع الإسلام في مجال التكافل الأسرة — الوصية فيما لا يتعدى الثلث بعد وفاة الدين — ولا تكون تلك الوصية توارثاً حتى لا يستحوذ على حقين فيجمع بين الميراث والوصية ، ولذا قال ﷺ : « لا وصية لوارث » ، ولكن الوصية لبعض من يفتقر للانسان بصلة قرابة ولم يكن وارثاً للانفاق والتعاون على الخير ، أو لبعض وجوه البر والمعروف هكذا تكون الوصية وقد أثار الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى موارد جوانب تكافل الأسرة وقيام المسلم بحق والديه وأبنائه ونفسه فيما رواه الطبراني : مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه ، فقالوا يا رسول الله : لو كان هذا في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله . وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء فهو في سبيل الشيطان » .

والمجال الثالث للتكافل الاجتماعي ما يكون بين الجيران : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) . وقال ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » . وحذر الرسول ﷺ من إيذاء الجار لأن الإيذاء يتنافى مع الإيمان فقال ﷺ : « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن » ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه » .

والمجال الرابع للتكافل ما يكون بين الإخلاء ورفقاء العمل من التعاون

على الخير والتحلى بمكارم الأخلاق فلا يجهل أحد على أخيه ولا ينتقص منه ولا يعيره بذنب ولا يغتابه . ولا يحاول الوقعة بينه وبين إخوانه ، ولا يخذله ولا يظلمه ولا يحاول أن يمنع عنه الخير بل يكون متعاوناً معه على الخير لا على الشر ، قال تعالى : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وكذلك يجب أن تسود روح التعاون والمحبة بين القرناء ورفقاء العمل وذلك أمر من الأهمية بمكان بحيث يجب التنبيه إليه لإنجاز العمل وتوحيد الضفوف فكثيراً ما يحدث بين القرناء من الجفوة والاختلاف نتيجة التنافس الشديد فإنه حين يزيد عن حده ينقلب إلى ضده بل على المسلم أن يكون طيب المقصد حسن التعاون مع أخيه لا يذكره بشر ، بل يرد عن عرضه ، يقول الرسول ﷺ : « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » . رواه أبو داود .

والمجال الخامس من مجالات التكافل الاجتماعى هو ما يتصل بالمجتمع الاسلامى وعلى الفرد واجبات تجاه المجتمع تتمثل فى أدائه لعمله فلا يكون عاطلاً بلا عمل وأن يخلص فى عمله فإن الله رقيب .

قال تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) .

وقال ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » وحرصاً من الاسلام على استمرار عمارة الحياة وازدهارها يوجه المسلمين إلى كل ما فيه خير للمجتمع مهما كانت الأحوال ، يقول الرسول ﷺ : « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها » . وسئل أحد السلف حين كان يزرع نخلة . فقيل له : أنت زرع هذا وأنت شيخ كبير ؟ فأجاب قائلاً : زرع من قبلنا وأكلنا ونحن نزرع لئلا كل من بعدنا ، كما تتمثل واجبات الفرد تجاه المجتمع على حرصه على سلامته وأمنه ، وزيادة الخير فيه ولل فرد لدى المجتمع حقوق

تتمثل في رعايته وحمايته وصيانة مصالحه ، فإذا كان ضعيفاً وجب على المجتمع مساعدته وإذا كان محتاجاً وجب على المجتمع إعانته .

قال تعالى : « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » . وقال ﷺ : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار » ، رواه الشيخان والترمذى :

ومن أجل نهوض المجتمع الإسلامى على أساس متين تقضى فيه المظالم ولا يكون هناك أضرار بالناس حرم الإسلام اكتناز الأموال وحرم سائر المعاملات الربوية ، ودعا إلى سائر صور التعاون والتكافل بين الناس حتى يصبح المجتمع آمناً مستقراً . وروى الامام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينما نحن فى سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له ، فجال بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله ﷺ : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .

فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل .

ومن أجل المحافظة على حقوق الفرد ، لأنه جزء من المجتمع وفى سلامة الأفراد سلامة المجتمع كانت الحدود حماية وصيانة وردعا عن كل ما يهدد أمن النفس والعرض والمال فشرع القصاص فى القتل والرجم أو الجلد فى الزنا ، وقطع اليد فى السرقة وهكذا كل ذلك حماية للفرد وصيانة للمجتمع وأمنه ، واستقراره .

وأما بالنسبة للبيجال السادس والاخير وهو الذى يتمثل فى تكافل المجتمعات والامم بالصورة العامة الموسعة . فذلك هو نداء القرآن الكريم

الذنى دعا إليه ونخت عليه : قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) .

بل إن المجالات السابقة للتكافل هي بمثابة الدرجات التى يصعد عليها أفراد المجتمع ليكنوا جسداً واحداً لا فرق بين إنسان وآخر فالله حقوق مكفولة والواجبات مؤداة والهدف واحد .

قال ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . متفق عليه .

مظاهر التكافل الاجتماعى :

وقد أخذ التكافل الاجتماعى فى الاسلام مظاهر عديدة منها الواجب ومنها المستحب أو المتطوع به ، فأما الواجب فيتمثل فى أداء الزكاة ففيها تطهير المسال من الحق الذى وجب للمحتاج فيحرم على صاحب المسال أن يأكله فيجور على مستحقه وفيها تطهير لنفس الغنى الذى يدفع الزكاة من آفة الشح والحرص على جمع المسال واكتنازه وزيادته وفيها تطهير لنفس الفقير من الحقد على الغنى وصدق الله العظيم إذ يقول : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) .

وقد حدد القرآن مصارف الزكاة موضحاً أهم مظاهر التكافل . فيها قال سبحانه : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤافسة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) ولم تقتصر مظاهر التكافل الواجبة على الزكاة وحدها بل هناك المصالح المرسله والكفارات مثل كفارة اليمين بإطعام عشرة مساكين . وكفارة الصيد فى الاحرام بإطعام المساكين . وكفارة الظهار (م ٧ - الأمن)

يُطعام ستين مسكينا والإفطار في رمضان لمرض أو شيخوخة لمن لا يستطيع
القضاء بإطعام مسكين وهكذا .

كما شملت مظاهر التكافل زكاة الفطر . . وهناك من الأمور الأخرى
المتطوع بها مثل : الوقف والوصية والعارية وغير ذلك من الأمور . ومن
أروع تلك الصور وأسمها الإيثار الذي ضرب فيه سلفنا أروع الأمثلة التي
خلدها القرآن الكريم . قال تعالى : (والذين تبوءوا الدار والإيمان
من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون .

أمن الكلمة واللغة

لغة القرآن والفلسفة بين تخطيط الأعداد وجهاد أهل الغيرة

لغة العربية منزلتها الرفيعة ومكانتها السامقة التي لا تطاولها مكانة بين لغات الدنيا وكيف لا ، وهي اللغة التي اختارها الحق تبارك وتعالى ، لكتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد جعل الله تعالى كتابه الكريم قرآنا عربيا محمدا الحكمة في ذلك وهي أن يكون واضح المعنى ، يعقله كل من يقرأ فيه ، أو يتدبر معانيه . قال سبحانه وتعالى مقسما بكتابه :

(حم ، والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وإنه في أم الكتاب لدينا لعل حكيم) .

وكما يصل القرآن بمقارنته والمتدبر فيه ، إلى التذكر والتفهم والاعتبار ، فإنه يرقى بالإنسان إلى الغاية المنشودة والفضيلة الأم وهي التقوى ، كما قال الله سبحانه وتعالى :

(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون) .

وإذا كان القرآن الكريم بلغته العربية المبينة وأسلوبه الإلهي المشرق ودعوته إلى الحق والرشد قد أخذ بيد الإنسان .

أولا : إلى الفهم والتعقل والاعتبار والتذكر ثم أخذ بيده .

ثانيا : إلى معرفة ربه وعبادته وإلى الإيمان به وتقوى الله .

ثالثا : بإبش السائرين على هديه العاملين به المطيعين لمبادئه ، وينذر الذين

حادوا عن دعوته وندبوا عن منهجه فان آياته المفصلة الواضحة قد ميزت الحق من الباطل والخير من الشر والحلال من الحرام ، قال تعالى : (كتاب فصلت آياته قرآنا عزيزا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) . فصلت : ٣ ، ٤ .

فواجب كل مسلم هو التمسك بلغة القرآن والتعرف عليها والتحدث بها ، ودراسة قواعدها وتعود اللسان النطق بها .
وإن اللغة العربية كما هي لغة القرآن الكريم فهي لغة الحديث النبوي الشريف الذي يمثل المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم والرسول ﷺ قد أوتي جوامع الكلم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

واللغة العربية كذلك هي لغة الادب العربي الرفيع والحكم الفاضله ، إنها الوعاء النقي الذي نقل إلينا أشرف وأعظم تراث عرفته البشرية منذ وجودها إلى أن يرث الله الارض ومن عليها .

ومن أجل هذه المكانة العالية فان سلفنا قد أولوها كل عناية ورعاية بحثا وتأليفا وتدوينا وتعريفا بأصولها وقواعدها وما يقصّل بها من دراسات دقيقة وعميقة بيد أن هذه الدراسات يجب أن تفتح عينها جيدا على ما يحاك لغة القرآن وما يدبر لها من أعداء الاسلام من مخططات حاكمة مكررة .

مخططات ضد لغة القرآن

إن تلك المخططات حاولت من قبل تصويب سهامها نحو القرآن نفسه - فرد الله كيد الأعداء في محورهم . لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي تكفل بحفظ كتابه الكريم . قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . فلما لم يجدوا أملا في إقتحام حصى القرآن راحوا في محاولات يائسة

وخطي لاهثة حول السنة الشريفة ليحاولوا الدس أو التحريف وتلفيق بعض الدعاوى الباطلة بالشبه الواهية التي لا أساس لها .

ولكن الله الذي تكفل بحفظ كتابه لم يكن ليدع سنة رسوله ﷺ وهي المدينة للقرآن فتصدى لهؤلاء الأعداء قديماً من أئمة الحديث وحفاظه من صانوا السنة من الدخيل وحفظوها من الترهات والأباطيل

فإذا بعد يصنعون ؟ إنهم نظروا إلى هذا التراث الإسلامي العريق . وإلى هذا الدين القيم الخالد فوجدوا أنه من أقوى أسباب رفعة المسلمين وعزتهم فخططوا للإبعاد عنه أو تفريغ المسلمين منه ذلك أنهم وجدوا هذا الواقع الذي يحمل هذا التراث إنما يتمثل في اللغة العربية فدملوا جامهدين على القضاء على تلك اللغة ومن هنا إنطلقت الدعوات المغرضة المسفة تدعو إلى هجر اللغة العربية وإثارة بعض الدعاوى الباطلة التي تقول بأنها صعبة وعسيرة وأخرى تقول بأنها لا تستجيب لمتطلبات الحياة وهكذا

وإذا استوقنا تلك الدعوات الباطلة وقلنا : وما السبيل إنذا ؟ فيمكن الجواب : أن نستبدل بها اللغة العامية بلهجتها الدارجة !

وكلما كما نرى دعوات تطفح بالحق على الإسلام وتراثه ولغته ولم يعد خافياً على أحد من الناطقين بهذه اللغة ولم يعد خافياً على المسلمين تلك المحاولات والحملات في غزوها الفكري أو تخطيطها العدواني .

وقد بقيت اللغة العربية بحمد الله حاملة أشرف تراث لم تنل منها ضربات أعدائها لأنها أرسخ قدما من أن تصاب بشيء وأعظم أثراً وأعز جنداً . إنها أغنى لغات الدنيا وأوفى بحاجات الحياة ومتطلباتها وهي التي حملت التراث الضخم العظيم قرونا متطاولة لم تتعثر لها خطوة ولم يخب لها بريق . لأنها ثرية بألفاظها ومعانيها واشتقاقاتها تحتوى على كل ما هو حسي ومعنوي وهي

لسان حق وصوت صدق وهي بملوهمها تمثل السباج المنيع والمقفل الحصين للإسلام وتعاليمه فالذود عن حماها جهاد في سبيل الحق وق سبيل الكتاب والسنة .

تطوّر الدعوة إلى العامية :

ودعاة العامية - اليوم - إنما هم لمقداد لمن سبقوهم من حملة المعاول المتسلطة الذين أرادوا أن يدكوا قلاع هذا التاريخ الشاخص وأن يفصلوا تلك العرى الوثقى التي حملت اللغة العربية التعبير الحقيقي لها وكانت اللسان المتجاوب في شتى الأقطار العربية والإسلامية والمترجم لآمال وآلام الإنسانية على مر أودار تاريخها .

وإذا كانت الدعوة إلى العامية واستبدالها بالفصحى يعنى الخطر الداهم على الدعوة الإسلامية وهذا ما يطمح له الاستعمار والصليبية وما تستمدده الصهيونية والشيوعية فإن هناك خطراً آخر يترتب على ذلك أيضاً وهو فصحهم أهم روابط التضامن الإسلامى والوحدة بين البلاد الإسلامية ذلك لأن اللغة الفصحى إذا أهملت وحل محلها اللغة العامية سيمتدح التفاهم والتواصل وتنضب روافد العلم والفكر والأدب بين البلاد وفى هذا تذويب للشخصية وتخريب وتغريب .

وقد لعب المستشرقون دوراً خطيراً فى الدعوة إلى العامية ومحاولة تجميد الفصحى واتخذع بزيقهم الكثير من فتن بالمحاكاة ، ووقع فريسة التبعية والتقليد واتخذوا لذلك محاور مختلفة فمرة يتجهون للأدب الأصيل وأخرى للقصيدة العربية العريقة التى تميزت بالوزن الرصين والقافية الثابتة فتنادوا بالتححر من الوزن والقافية وطفا على سطح الأدب المعاصر ما يسمى بالشعر الحر وأخذ هذا اللون فى الهبوط والإسفاف لدرجة تخلى فيها تماماً عن المعانى النبيلة والقيم الرفيعة ، وراح الفكر يتحلل من الأدب نفسه متمرداً على

اللغة وأصولها وأهدافها وتقنع بالأنغاز والتوبيه والاغراق في الغموض إلا ما يظفره من معاني الخلاعة والمجون محاولاً صياغته في قالب براق ليستهوى الشباب ، وعشاق الكلمة النابضة الحية وهو في داخله ينطوى على السم والضياح . إن مخططات أعداء الإسلام إذا تكشفت في كل جوانبها وتساعد منها هذا الدخان لتأخذ في شكل ظالم متبجح لا ينبغي السكوت عليه من كل غيور على دينه وتراثه .

جهاد أهل الغيرة :

وليس معنى هذا أن أبناء الإسلام أو الناطقين بالاضاد قد وقفوا مكتوفي الأيدي أمام ما يحاك لدينهم ولغتهم فإنهم وقفوا لأعدائهم بالمرصاد، ولطالما ردوا وجاهدوا في هذا الميدان جهاداً كبيراً منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، ولنا على الدرب سائرون .

إن جهادنا مستمر وكذلك جهاد ذوى الغيرة عليها .

وفي هذا إعلان للأقلام المشرعة في وجه الباطل إنها ثابتة على الحق تقوية بالله معتزة بدينها ولغتها لا تأخذها في الحق لومة لائم مستمرة في مسيرة الجهاد المبرور .

ولنا لنأخذ على عاتقنا ونحن بين طلابنا أن تكون اللغة العربية هي وسيلة التخاطب والتدريس والتفاهم . ونبت روحها وتعبيرها والجهاد من أجلها في سائر المجالات حفاظاً على لغة القرآن الكريم وتعويدا للطلاب على النطق الصحيح بها والتفاهم على ضوءها .

ونحن إذ نحمل تلك الأمانة لنؤديها خير الأداء في ذلك تدعيم وتقوية للنهوض بها وصد كل الحملات الطائشة الظالمة التي تبذرت لها . إن هذه المهمة التي يقوم بها كل مدرس أو أستاذ بين تلاميذه وكل داعية بين قومه

إنما تمثل تجنيد الطاقات وتجميعها في إطار واحد لمحاربة عدو لدود . وبدون هذا التدعيم وغيره من الوسائل الأخرى لا يمكن مناهضة تلك الموجات السافرة، التي تحاول اجتياح اللغة وآدابها متسربة إلى أصول تراثنا العريق . . كما يجب العناية بمنهج اللغة في كل مراحل التعليم في سائر البلاد الإسلامية والتركيز على تربية الأجيال على أساس الكتاب والسنة وفهم أصول الإسلام وتعاليمه ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق اللغة ورعايتها فإن اللحن في اللغة العربية يترتب عليه ضياع المعنى وعدم فهمه . ولقد كانت اللغة العربية إلى جانب مهمتها العالية ورسالتها الشريفة في حمل تراث الإسلام وترايط الأمة الإسلامية على وحدة كبرى تجمع سائر الأقطار في إطار واحد ، إلى جانب هذا كانت تمثل سلاحاً قوياً - في صدر الإسلام يرد كيد الأعداء وينافح عن دعوة الحق بالقصيدة العربية الفصيحة والشعر العربي الأصيل ، فإذا ما حاول أعداء الإسلام النيل منه عن طريق اللسان بعد السنان كان على المسلمين أن يجاهدون بمثل ما يحاربونهم به ، ولذا فإن القرآن الكريم عندما أبان شأن الغاوين والضالين ، من أعداء الإسلام ونفى عن القرآن كونه شعراً ونفى عن الرسول ﷺ كونه شاعراً إنما كان ردّاً لما يثار حول القرآن أنه شعر وحول الرسول من أنه شاعر وإن ذلك كله لا أساس له ، فقد قال الله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » وحين بين القرآن شأن المضلين من الشعراء الذين حاربوا الدعوة الإسلامية وجعلوا شعرهم في النسيب والغزل وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب ، واستثنى الله تعالى شعراء الإسلام الذين حملوا لواء اللغة العربية وساروا بها نحو الحق . ودافعوا عن الإسلام ورسوله وعن الدعوة والمسلمين . وكان شعرهم آنذا يمثل السلاح الذي لا بد منه في سينه ذم كآل وقت ، قال الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، ولأنهم

يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أنى منقلب ينقلبون .

وهكذا استثنى الله تعالى شعراء الإسلام وأشاد بأعمالهم المجيدة في نصرة الاسلام وتأمين دعوته وكانت أشعارهم في التوحيد والحث على طاعة الله ، والاتصال بمن هجأهم من أعداء الاسلام وكان من شعراء الاسلام في هذا المصنفان « حسان بن ثابت » ، « وعبد الله بن رواحة » وغيرهما ممن نالوا عن الاسلام ودافعوا عنه تحقيقاً لأمن العقيدة والكلمة فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

الرحمة أسلوب الأمن .

وهي من أبرز ملامح الدعوة الإسلامية

إن من أبرز ملامح الدعوة الإسلامية « الرحمة » فهي جوهر الإسلام وهي من صفات الله سبحانه وتعالى : « الرحمن الرحيم » وبالرحمة نزل الدستور السماوي ، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين سورة الإسراء ، (٨٢) : « ومن أجلها أرسل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وفيها تركز هدايت رسالته ومقصد دعوته قال الله تعالى : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » سورة الأنبياء (١٠٧) ، وهي السمة المميزة للمسلمين فيما بينهم فهم يتراحمون ، ويعطف بعضهم على بعض ويواسي كل منهم أخاه فشاعرهم متلاقية ، وأحاسيسهم تنبض بالتعاون ، والتساند والتعاطف والتآلف .

لا مكان للقسوة بين قلوبهم ، ولا تظهر الشدة أو الغلظة في محيطهم إلا مع أعدائهم من الكفار وفي ميدان الجهاد في سبيل الله ،

قال تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الفتح ٢٩ . ولم تفارق الرحمة رسول الله ﷺ في لحظة من اللحظات . بل كانت طبيعته وفطرته حتى مع المشركين من قومه فلم يدع عليهم بل قال : « اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون » وقيل : يا رسول الله امدع على المشركين قال : « إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة » رواه مسلم ويصفه القرآن الكريم بالرحمة والرأفة الواسعة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » التوبة (١٢٨) .

والرحماء من عباد الله هم موطن الأمل للناس ومعقد الرجاء لهم وحيث حلوا فعندهم الراحة للمتعبين والأمل للمفزعين ، من طلبهم أجابوه لأن الله تعالى جعل فيهم رحمته .

أما القاسية قلوبهم ، فالناس بمنأى عنهم فلا يرجوهم أحد ولا ينتظر منهم فضل فقد حل عليهم سخط الله وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : « اطلبوا الفضل من الرءاء من عبادي إني جعلت فيهم رحمة ، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم ، فإني جعلت فيهم سخطي » . وتظل الرحمة مع المسلم في كل خطاه كسمة مميزة لشخصيته لا تنفك عنها إنها تغمر السكبان الإنساني في الفرد ويشيع روحها في الجماعة فتشرق في حياة الإنسان مع نفسه وتضاعف في معاملة الإنسان لوالديه وتوسع أقطار الرحمة لتحتوي الأقارب وتمتد ظلها على الجيران وتنداح أبعادها حتى تشمل الخلق قاطبة من إنسان أو حيوان أما رحمة الإنسان بنفسه فتسكون بالوقوف بها عندما أمر الله والانهاء عما نهى عنه فلا يوردها موارد الهلاك ولا يكلفها من العمل ما لا يطاق قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة ١٨٥) وقال تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » البقرة (١٩٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون » رواه مسلم وهم المتعمقون الذين يشددون في غير موضع التشديد إن رحمة الإنسان بنفسه لها أهميتها وأثرها حتى ولو كان ما يأتيه الإنسان عملا من أعمال العبادة .

فلا سلام يدعو الإنسان إلى إعطاء جسده قسطا من الراحة ليستطيع القيام بأعماله وعباداته ، عن حنظلة بن الربيع أحد كتاب رسول الله ﷺ قال : « لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافع حنظلة قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا الجنة والنار كأننا رأى عين . فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات . أي مارسنا ولاعبنا . نسبنا كثيرا ، قال أبو بكر رضي الله عنه ، فوالله إنا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت : نافع حنظلة يا رسول الله فقال

رسول الله ﷺ وماذا لك ؟ قلت : يا رسول الله نكسكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأى العين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيغات نسينا كثيراً فقال رسول الله ﷺ ، والذي نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندى وفى الذكر لصاحبتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، ساعة وساعة ، رواه مسلم .

تلك هى رحمة الانسان بنفسه شرعها الاسلام وجعل تعاليمه تنادى بها وتحرص عليها وأما عن الرحمة بالوالدين فقد نادى القرآن بها بعد الأمر باختصاص الله تعالى وحده بالعبادة فقال تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » وعند بلوغها الكبر يؤكد القرآن جانب الرحمة بها لدرجة يصل فيها الانسان من الرحمة بحيث لا يتضرر منها .
مها كلفه البر بهما وأن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، ولا يكتفى برحمته الفانية ، وإنما يطلب لها رحمة الله الباقية بالدعاء لها ، لما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »
الاسراء (٢٣ ، ٢٤) .

وقد روى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : إن أبوى بلغا من الكبر إني ألى منها ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما ؟ قال : لا إنها كانا يفعلان ذلك وهما يحببان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتها .

وأما الرحمة بالأقارب فلها منزلتها عند الله وحسب الذى يصل رحمه أنه موصول من ربه وحسب الذى يقطعها أنه مقطوع . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم : هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب قال : فهو لك : قال رسول الله ﷺ فاقروا إن شئتم « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا

أرحامكم . رواه البخارى وكذلك الرحمة بالجيران تعاوننا معهم وتلبية لندائهم وإحساناً إلى المحتاجين منهم ورحمة الانسان بالناس عامة قال رسول الله ﷺ : « لن تؤمنوا حتى تراحموا » قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم . قال ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة (رواه الطبراني) والرحمة بالحيوان فلا يجيعه ، ولا يتعبه ، ولا يقسو عليه ولا يحبس .

إن المسلم ذو قلب رحيم ، لا تبدو ملامح شخصيته من غلافها الجسدى أو المظهر الشكلى ، وإنما فى النظرة الحانية إلى المحيطين بالانسان وفى شعاع روحه وهو ينير بالود وحب الخير طريق الناس وفى قلبه الرحيم وهو يشاطر الناس أحزانهم ويشاركهم فى أفراحهم فيمسح دموع المسكين ، ويأخذ بيد الضعيف ويسدى المعروف للناس . بهذه الحياة الخصبه التى تترعرع فيها العلاقات الانسانية وتنبعث منها صنائع المعروف تظهر شخصية الانسان المسلم قائمة على أساس ثابت من الايمان بالله .

وأما الذى اقفرته حياته من الايمان فقلبه مقفر من الرحمة وشخصيته تنفر من المعروف والناس ينفضون من حوله فلا يرجى جانه ولا تمتد بالخير يده .

وهذا الذى لا يرحم الناس فى الدنيا لا يرحمه الله فى الآخرة عن جرير ابن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » رواه أحمد والبخارى ومسلم .

وقد أمر الرسول ﷺ بالرحمة بمن فى الأرض حتى يحظى المسلم برحمة ربه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : الراحمون يرحمهم الرحمن لإرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، رواه أبو داود والترمذى وبهذا يتضح أن الرحمة هى صيغة الأمن للضعفاء والمحتاجين .

خاتمة الكتاب

نستخلص من دراستنا السابقة دعوة الإسلام إلى الأمن في سائر جوانب الحياة في النفس والمال والعرض وأن الله تعالى يهب نعمة الأمان وهي من أجل نعمه للؤمنين القائمين بمنهجه في الأرض ،

وقد وعد سبحانه بهذا وهو لا يخلف الميعاد . قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

وما أحوج الأمة الإسلامية في هذه الآونة أن تطبق منهج الله ليرى عليها بنعمة الأمن بعد تلك الصراعات التي صدعت الكثير من جسد هذه الأمة . فإن نعمة الأمن والاستقرار هي أمن شيء في الوجود .

قال عليه الصلاة والسلام من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا رواه الترمذى .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د . أحمد عمر هاشم

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
مكانة مصر فى الاسلام	٦
عقوبة الماديين ومثوبة المرابطين	٨
استتباب الأمن ثمرة الايمان والعمل الصالح	١٨
دعوة الى الحفاظ على الأمن الداخلى والأمن الخارجى	٢٣
دعوة الاسلام الى أمن حقوق الانسان	٢٨
عناية الاسلام بحقوق الانسان وصيانة حرماته	٣٤
حرمة النفس وحققها فى الحياة	٤٠
عناية الاسلام بحرمة الاموال	٤٥
أمن المعاملات فى الاسلام	٥٠
حماية المعاملات المالية من الشبهات	٥٥
صيانة الحقوق فى الاسلام	٥٩
دعوة الاسلام الى أمن النفس البشرية	٦٤
التربية الاسلامية أمن للنفس البشرية	٦٩
محافظة الاسلام على حرمة الاعراض	٧٥
الوحدة فى الاسلام طريق للأمن العالمى	٨٠
التشريع الاسلامى والوحدة	٨٤
الأمن الاجتماعى فى الاسلام	٨٩
أمن الكلمة واللغة	٩٩
الرحمة أسلوب الأمن	١٠٦
المخاتمة	١١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ آمَنُوا
وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ
بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ
صَدَقَ اللَّهُ
الْعَظِيمُ